

الحلل السندسية

في

نصح الجماعات الدعوية

[الإخوان والتبليغ والسلفية]

أبو حامد محمد بن حامد آل عثمان الغامدي

مقدمة الحلل السندسية

بسم الله الرحمن الرحيم
عليه أتوكل وبه أستعين

الحمد لله الذي أوحى إلى عبده ما أوحى من العلم والحكمة والهدى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورسوله المجتبي ، محمد الصادق الأمين ، الذي شرع لأمته سنن الهدى ، ودلهم بقوله وفعله على معالم التقى ، ومواطن الهدى ، وعلى سبيل النجاة ، ومراقي النجوى ، صلى الله عليه وعلى آله النجبا وعلى صحابته أولي الفضل والتقوى . أما بعد :

فقد قال الله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وقال تعالى عن أهل الكتاب : (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) .

وقال تعالى عنهم : (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ؛ كتاب الله وسنتي) .

هذا وإن اختلاف الأمة الإسلامية بعد نبيها صلى الله عليه وسلم في أمر دينها قد تعدد وتكاثر ، حتى تفرقت إلى فرق كثيرة وتعددت إلى أحزاب عديدة ، ومرجع ذلك عند العلماء المحققين إلى تعدد الأهواء وإلى تكالب الأعداء ، وإلى غير ذلك من الأسباب ، التي أفرد لها بعضهم مصنفات مستقلة ، وفصل فيها أنواع هذه الفرق وأحوالها وأسباب تفرقها .

وكان من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أنه أخبر عن وقوع هذا التفرق والاختلاف قبل وقوعه ، فقال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (افتترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافتترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة) الحديث .

بيد أن ما نحن بصدده من افتراق الجماعات الدعوية واختلاف مذاهبها في الدعوة إلى الله وإن كان يمس أحياناً جوانب من أصول الدين ومسائل الاعتقاد ، إلا

إنه في الغالب الأعم يعد اختلافاً في طرق الدعوة ، وسبل إيصالها إلى المدعويين فحسب . ولذلك فإنه لا ينبغي لأحد ممن له حظ من علم ، أو مسكة من عقل ، أن ينسب واحدة من هذه الجماعات إلى الكفر أو إلى الضلالة المخرجة لها من الملة أو من أهل السنة والجماعة ، وإن كان لديهم من الاجتهادات الخاطئة والممارسات غير السوية ما يجب أن يحذروا منه وينبهوا عليه ، كما هو الحال فيما قمنا به في هذه المقالات من النصيحة والدعوة إلى التصحيح . ومع ذلك فإنه يخشى عليهم مع التماذي فيما هم فيه ، أن يصلوا إلى درجة الفرق الضالة ، وأن يخرجوا عن منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم .

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف هذه الجماعات الدعوية ، ومفارقتها قليلاً أو كثيراً للمنهج النبوي ، ما يلي :

١- خروجها من بيئات و فرق متباينة الأصول ، بل إن بعضها خرج من مدارس منحرفة و فرق مبتدعة ، وإن كان جرى عليها من التهذيب والتصحيح ما يقربها من أهل السنة والجماعة ، ويعطي الأمل في إمكان تقريبها أكثر حتى توافق السنة ، وتتأى عن الانحراف والبدعة . فعلى سبيل المثال فإن جماعة الإخوان المسلمين خرجت بعد تهذيبها - شيئاً ما - من المدرسة الأشعرية العقلانية الفكرية الحديثة التي أسسها الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر ، ثم اتخذت - أي جماعة الإخوان - المنحى الفكري والتربوي أساساً لمنهجها وممارساتها الدعوية ، وركزت دعوتها في الاعتقاد على توحيد الحاكمية والربوبية دون توحيد الألوهية ودون التحذير من أنواع الشرك والبدع في الدين .

كذلك فإن جماعة التبليغ خرجت بعد تهذيبها - شيئاً ما - من تحت عباءة الصوفية الديوبندية في بلاد الهند (أعني النسخة العربية منها لا الهندية ، فإن الهندية لم تخرج من عباءة الصوفية ولم تغادرها بل هي ملتفة بها وملتحفة) ، واتخذت المنحى الذوقي التعبدي القاصر على الدعوة إلى الذكر والصلاة و توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، دون الدعوة إلى توحيد الألوهية ونبذ الشرك والبدعة .

٢- ومن أسباب الاختلاف وقوع أحداث ونوازل تباينت فيها اجتهادات زعامات هذه الجماعات إلى درجة الخصومة والتناوب والقطيعة فيما بينها ، يتضح ذلك في انقسام المدرسة السلفية العلمية إلى أربعة أقسام متنافرة ، بعد نازلة حرب الكويت التي استعانت فيها بعض الدول بأمريكا لصد العدوان العراقي على الكويت وإخراج الجيش العراقي منها .

٣- ومن الأسباب كذلك اقتصار كل جماعة إلا القليل منها على إبراز جزء من الدين وتركيز دعوتها عليه دون غيره من أصول الدين وفروعه ، مع الإدعاء بأن ما تدعو إليه هو الدين كله وأنه الحق دون سواه .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن هناك جماعة دعوية كبيرة ومؤثرة ، ضاربة أطناها في بلاد الهند والبنغال والباكستان ، هي (الجماعة الإسلامية) التي أسسها الشيخ أبو الأعلى المودودي ، ولم نتطرق إليها في هذه المقالات لسببين :

الأول : أنها في فكرها ومنهجها تكاد تكون متطابقة مع جماعة الإخوان المسلمين والحديث عن إحداها يمثل الحديث عن الأخرى تقريباً ، مع بعض الفروق الطفيفة التي لا تشكل فارقاً جوهرياً ككون الجماعة الإسلامية تمارس الدعوة في بلاد الهند وجماعة الإخوان تمارسها في بلاد العرب ، وهذا يمثل تكاملاً في جهودهما لا تبايناً واختلافاً .

الثاني : أن هذه المقالات مختصة بما يجري في العالم العربي الذي تتأثر به جميع الشعوب الإسلامية وهو بالنسبة لها بمثابة الرأس للجسد . وكوننا تحدثنا عن جماعة التبليغ مع أنها مثل الجماعة الإسلامية إنما ظهرت في الهند ، هو بسبب كونها استهدفت العالم العربي في دعوتها ، وكونت لها فيه شريحة لا بأس بها من الدعاة العرب الذين صاروا يجوبون الأقطار باسم التبليغ .

وعلى كل فالجماعة الإسلامية في الهند تستحق دون شك أن يفرد لها بحثاً مستقلاً ، لعل الله أن ييسر لنا تناوله ، على أن نلحقه فيما بعد بمجموعة المقالات في هذا المبحث .

وقد دعاني إلى كتابة هذه المقالات التي هي عبارة عن تأمل واستقراء لأحوال الجماعات الدعوية القائمة اليوم ، حرصي البالغ على النصح لإخواننا الدعاة من العلماء وطلاب العلم والمجتهدين في خدمة الدعوة ، بتصحيح مسارهم في الدعوة إلى الله ، ومراجعة مناهجهم ابتغاء مرضاة الله ، والانضواء جميعاً تحت حكم الكتاب والسنة ، وعدم التأثر بالأهواء والعصبيات والسياسيات والأفكار المخالفة للكتاب والسنة ، والمجاوية لحقوق الأخوة الإيمانية ولأمانة الدعوة إلى الله وحمل الرسالة إلى الناس كافة . متمثلين في ذلك قول الله تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) .

مع يقيني التام بإمكان التكامل والتعاون بين كافة الجماعات والدعاة ، بل وأن تتوحد في دعوة واحدة إذا توفر الإخلاص في دعائها مع التجرد من الأهواء والعصبيات والأنانيات ومن التأثر بالسياسة وأهلها . فإن ديننا واحد ، والقرآن

والسنة وعمل السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان لم تغادر شيئاً من أمر الدين إلا جعلته من البيان والوضوح كالشمس في رابعة النهار . فهل من متجرد لله، مخلص لدينه، نابذ للفرقة، محكم الكتاب والسنة في دعوته وجميع أمره ؟ .

الأمة بخير، والأمل مشرق ، والأجيال القادمة بإذن الله تعالى تسير نحو التصحيح والوحدة .

هذا وإني لأرجو ممن يجد في عبارتي -في هذه المقالات - شيئاً من الحدة ، أو نوعاً من القسوة ، عند مناقشتي لبعض القضايا - مما أعتقد أنه مخالفات شرعية أو ممارسات دعوية غير سوية - أن يتذكر بأني إنما أمارس في هذه المقالة عمل الشفوق المناصح ، والطبيب المعالج ، وقد يكون مبضع الجراح المؤلم سبباً في العلاج الناجع

والدواء الشافي - بإذن الله - ، وهو مايرضى به الطبيب والسليم معاً إذا صح القصد وسلمت النوايا .

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أبو حامد محمد حامد آل عثمان الغامدي

* النصيحة الأولى :

العقد الثمين

في

نصيحة الإخوان المسلمين

مقدمة وتمهيد :

جماعة الإخوان المسلمين من أبرز الجماعات الدعوية الجادة التي كان لها في هذا العصر دور هام في إيقاظ أمة الإسلام من سباتها ، وتحريكها إلى دينها ، وتبصيرها بأعدائها ، وتوجيهها إلى الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية في مواجهة ما يحاك لها ، وما يدبّر لإخضاعها وإذلالها .

فقد كان مؤسس هذه الجماعة الشيخ حسن البنا رحمه الله دؤوب الليل والنهار في العمل على إقامتها ، وترشيدها ، ووضع الأسس التي تقوم عليها ، ورسم الأطر التي تحدد معالمها .

وقد تم له كثير مما أراد ، فقامت الجماعة في زمانه على سوقها ، وتبينت معالمها ، وتعددت أنشطتها وأعمالها ، وأخذت تنمو نماءً سريعاً ، وتنتشر في الأقطار انتشاراً ملحوظاً .

ثم تواصلت الجهود بعده على نشرها وإظهارها والتمكين لها ، وخاصة في صفوف الطبقات المثقفة ، والأوساط المتعلمة ، في الجامعات ، والمعاهد ، والمدارس ، والمنتديات .

وكان للتنظيم الجيد الذي نظمت به جماعة الإخوان أثر بالغ في تحقق إنجازاتها، واتساع رقعة نفوذها ، والتواصل المستمر بين أفرادها ، والنفوذ القوي لقياداتها على كل من انضم إليها ودخل في دائرتها .

وقد تميزت جماعة الإخوان المسلمين بمميزات قلما تتوفر في غيرها ، ومن

ذلك :

١- الانتشار الواسع والتغلغل في جميع الطبقات الاجتماعية .
٢- أنها تحظى بولاء منقطع النظير من أتباعها على اختلاف طبقاتهم .
٣- عنايتها الكبيرة بالتنظير الفكري إلى جانب التأصيل الإيماني والتأهيل التربوي .

٤- ثبات الجماعة في المحن والشدائد وصبر أفرادها على جور الحكام وما تعرضوا له من الأذى الشديد والسجن والتعذيب دون تراجع ولا تخاذل .
٥- الحراك المستمر والحيوية الدائمة في برامجها الدعوية والتربوية رغم الصعوبات البالغة التي تواجهها .

وقد بنى مؤسس هذه الجماعة الشيخ حسن البنا رحمه الله جماعته الدعوية بناءً عقلياً يقوم على الأصول التي كان ينادي بها من قبله الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني ، وتردد كثير منها في كتابات الشيخ رشيد رضا صاحب المنار رحمهم الله ، فيما يتعلق بالمنهج الدعوي من حيث وسائله وغاياته ، بحيث أصبحت جماعة الإخوان تمثل الجانب التطبيقي العملي لهذه المدرسة الدعوية العقلانية .

ومن أهمّ الأصول المنهجية التي برزت آثارها في السلوك الدعوي لجماعة الإخوان المسلمين والتي نحن بصدد نقدها وبيان ما فيها من المآخذ والعيوب حسب ما نرى ، وحسب ما تدل عليه الأدلة الشرعية والمنهج النبوي في الدعوة إلى الله ، هي الأصول الأربعة التالية:

١- المعاصرة .

٢- الشمولية .

٣- الوحدة الإسلامية .

٤- فقه التيسير .

وسوف نقتصر في هذه المقالة على مناقشة هذه الأصول الأربعة فحسب ،
رغبةً في الاختصار ، واعتقاداً بأنها من أهم الركائز والمنطلقات التي تأثر بها
السلوك الدعوي لجماعة الإخوان .

ولست أرى مانعاً من أن أتوه منذ البداية بأن هذه الأصول الأربعة هي في
حقيقتها أسباب قوة وارشاد للدعوة التي تهدف إلى إقامة دين الإسلام في أمته أولاً ،
ثم تسعى بعد ذلك إلى نشره وإظهاره على الدين كله في هذا العصر الذي تكثر فيه
المعوقات، التي من أهمها : مصادمة الحضارة المادية الغربية الملحدة الطاغية
للدعوة الإسلامية ، وتكريس الغرب جهودهم للحيلولة دون تطبيق الشريعة
الإسلامية في بلاد المسلمين .

بيد أن الجماعة التي قامت على هذه الأصول – أعني جماعة الإخوان
المسلمين – توسعت فيها توسعاً عريضاً تأصيلاً وتنظيراً وتطبيقاً إلى الحد الذي
أصبحت فيه هذه الأصول – في أحيان كثيرة- مبررات غير مشروعة للخروج عن
الهدى النبوي ومنهج سلف الأمة في وسائل الدعوة وغاياتها ، وللافتات عن النص
إلى العقل ، وتقديم المصالح المرسله على الأدلة المحكمة ، مما جعل هذه المنطلقات
والأصول موضع نظر، ومثار جدل ، ومدعاة للنقد من كثير من الأوساط العلمية
والدعوية .

مناقشة الأصول الأربعة :

وسوف نعرض لهذه الأصول الأربعة في شيء من الإيجاز والاقتضاب ،
للإلماح إلى بعض ما عليها من المآخذ ، وما ينبغي لها من الإصلاح ، نصحاً
لإخواننا ، ودعوة لهم ولجميع الدعاة إلى أن يراجعوا الأصول والمنطلقات لدعواتهم
، وأن يعودوا عليها بالتهذيب والتصحيح ، وأن يقبلوا فيها النصح ، حتى تكون
موافقة لهدى النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته في وسائلها وغاياتها ، وفي أصولها
وتطبيقاتها ، وهي أكمل دعوة ، وأصح طريقة ، وأنفع وسيلة لهداية الناس ، ونشر
الدين ، وإظهاره على الدين كله

وإننا لنعتقد جازمين أنّ من رام أن يجدد في وسائل الدعوة المعنوية لا المادية ، أو في أصولها العلمية ، أو العملية على غير ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته ، فإنه يزل عن الطريق ، وينحرف عن المسير ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" .
هذا وقد آن لنا الشروع في مناقشة هذه الأصول الأربعة التي يتشكل منها المنهج العملي والسلوك الدعوي لجماعة الإخوان المسلمين وبالله التوفيق .

أولاً : المعاصرة :

ويراد بها أن يواكب المسلمون الأمم الغربية ، فيما وصلت إليه من أساليب مدنية ، وتنظيمات اجتماعية ، ومصطنعات مادية ، ومفاهيم حضارية .
وذلك لأن الغرب قطع شوطاً واسعاً في التمدن ، حتى طغت حضارته المادية ، وأساليبه المدنية على جميع العالم ، فلا ينبغي للمسلمين – كما يرى أصحاب هذا الاتجاه – أن يرفضوا هذه الحضارة ، أو أن يفتقروا منها موقفاً معادياً ، بل عليهم أن يقبلوا كل ما تفرضه هذه الحضارة ، ويأخذوا به ، ولكن بعد أن يهدبوه ، ويوجّهوه الوجهة التي توائم مبادئ الإسلام العامة ، وقواعده الكبرى .
وهذا ما ينادي به الإخوة الدعاة من جماعة الإخوان المسلمين ويجعلونه أصلاً من أصولهم ، وقاعدة من قواعد دعوتهم ، ومن هذا المنطلق قامت دعوتهم إلى أسلمة العلوم والفنون الإنسانية الغربية ؛ أي القبول بها بعد صياغتها بما يوافق الإسلام ، إظهاراً للإسلام على أنه دين حضاري متمدن ، لا يرفض شيئاً من صور الحضارة المادية الغربية ، ولا مدنياتها ، بل يستوعبها ، ويتماشى مع ما وصلت إليه من تصور للحياة الإنسانية في جوانبها المختلفة .

إنّ هذا المبدأ الذي تنادي به جماعة الإخوان المسلمين نظراً وتنبأه عملاً ، وإن كان ينم عن حرص منها على الإسلام ، ورغبة في أن لا يوصف بالرجعية والتخلف من أعدائه ، وإن كان بالنظرة العقلانية المجردة يرى معقولاً ومقبولاً ومتوازناً إلا أنه في الحقيقة يتضمن تعظيماً لهذه الحضارة المادية الغربية الطاغية

وانبهاراً بها ، وانهزامية عميقة أمام منجزاتها ، مع ضعف واضح في الثقة بالرصيد الحضاري التربوي والإنساني للأمة الإسلامية ، وكان هذا المنحى في أسلمة العلوم الإنسانية الغربية يتضمن تصوراً بأن الحضارة الإسلامية لا يمكنها أن تنهض بمتطلبات هذا العصر دون الاستنجد بالفكر الغربي الإنساني واستعارة قيمه ومنطلقاته الثقافية والإنسانية مع تعديل ما يلزم تعديله ليتواءم مع قيمنا الإسلامية .

يدل على هذا ان مفكري جماعة الإخوان المسلمين بدلاً من العكوف على منجزات الإسلام الحضارية ، ومنطلقاته التربوية ، ومبادئه الإنسانية في مصادرها الأصلية ، واستخراج كنوزها ومخرجاتها ، والوقوف عند حدودها وتشريعها ، والعمل بتطبيقاتها وممارساتها ، فإنهم بدلاً من ذلك عكفوا على العلوم الإنسانية الغربية يدرسونها ويظهرونها ويجرون عليها من المواءمات والتعديل والتبديل ما يتناسب في نظرهم مع الدين الإسلامي وقيمه ، فيما يسمى بأسلمة العلوم الإنسانية . وقد كانوا في حقيقة الأمر في غنى عن ذلك كله بالعودة إلى كتاب الله وسنة نبيه وسيرته، ومستخرجات علماء السلف لما فيهما من منهج حكيم وتربية إيمانية صافية .

إن التطبيق العملي لهذا المبدأ أفرز من العيوب والمآخذ والمحاذير الشرعية ، ما جعل المتابعين لأعمال جماعة الإخوان ، وأنشطتها الدعوية من أهل العلم والدعوة يصرخون بكل قوة ؛ إنكم تشوهون الإسلام ، وتطمسون معالم شخصيته ، بسعيكم الحثيث ولهتكم الدائب في مجارة الحضارة الغربية باسم المعاصرة ، والتحضر ، وتمدين الإسلام وفق المعايير الغربية .

إنّ الإسلام دين إلهي له معالمه الربانية ، وشخصيته العبادية ، وكيانه الحضاري المستقل ، وله أن يقبل أو أن يرفض من الحضارة الغربية أو من غيرها ما يراه صالحاً أو غير صالح وفق معايير ومبادئه وشرائعه المنزلة من عند الله تعالى لتكون هي دين البشرية وموازينها . وهو الذي يقوم بتحديد معاني الخير والشر ، والصالح والفساد ، والمعروف والمنكر ، فما عرفه الإسلام فهو معروف ، وما أنكره فهو منكر ، أينما كان وممن كان .

إن لأهل الإسلام تجربةً مريرةً في تطبيق هذا المبدأ ، مبدأ المعاصرة والقبول بالمعارف العقلانية التي أفرزتها حضارات الأمم الأخرى بثقة غير متناهية ، واطمئنان غير محدود .

تتمثل هذه التجربة فيما قام به خلفاء الدولة العباسية من تشجيع الترجمة عن اليونان والرومان منذ عهد المنصور إلى أن بلغت ذروتها في زمن المأمون . فما إن اطلع بعض أهل الإسلام على تلك المترجمات في الفلسفة والمنطق وغيرها ، حتى انبهروا بها وبما فيها من قواعد منطقية ، ومناقشات فلسفية ، فتصوّروا أنهم يمكن أن يسخّروها في خدمة دينهم الإسلام ، ويتخذوها وسيلة للمجادلة عنه ، والمنافحة عن شرائعه ، وما فطنوا إلى ما سيعلق بأفئدتهم وعقولهم من غبار تلك الفلسفات ، وأقذار تلك المعتقدات ، فما لبثوا بعد ذلك أن خرجوا على أهل دينهم بمذاهب ضالّة ، وعقائد منحرفة ، كالجهمية والمعتزلة ، والقدرية ، والجبرية ، بل ومنهم من حمل عقائد الفلاسفة اليونانيين الإلحادية ، كما هي حال من سُمّوا بالفلاسفة المسلمين .

بل لم يسلم من التأثير بتلك الفلسفات والمعتقدات اليونانية وغير اليونانية حتى العبّاد والزّهاد من المسلمين ، فقد تحول تعبدهم وزهدهم فيما بعد إلى طرق صوفية بلغت في بعض الأحيان حدّ الزندقة والكفر ، إضافة إلى ما عرف بعد ذلك من المذاهب الباطنية الموغلة في الانحراف والضلالة .

لذلك فإنه بدلاً من أن نركّز الدعوة ونوجّهها إلى أسلمة العلوم الإنسانية الغربية، التي إنما قامت على أصول إلحادية ، وفلسفات مادية ، ونظرة دنيوية لا أخلاقية ، فإننا يجب أن نركزها في الدعوة إلى بعث علومنا ومعارفنا الإنسانية الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة وهدى السلف الصالح ، ونعمل على تطبيقها والتحلي بها ، ومن ثم دعوة الأمم الأخرى إليها .

إن لدينا من العلوم والمعارف في الجانب الإنساني ثروةً عظيمةً سواءً كانت عقدية أو تربوية أو اجتماعية أو أخلاقية أو غيرها ، مما نفخر به على كل الأمم . فلنعمل على إظهاره ، والكشف عنه ، والدعوة إليه ، ليكون بديلاً صالحاً لكل الأمم عن الإلحاد والإباحية والعبثية والمادية التي تحملها العلوم الإنسانية الغربية اليوم ، فلسنا

بحاجة إلى التنقيح والتهديب لعلوم الغرب الإنسانية المادية ، وإنما تحتاج إلى ذلك الأمم المفلسة من القيم والمبادئ الأصيلة ، أما نحن فقد أغنانا الله تعالى بالإسلام وفيه من المبادئ والقيم والأخلاق ما يكفل للإنسانية السعادة في الدنيا والآخرة .

هذا ومن آثار الحرص الشديد لدى جماعة الإخوان المسلمين على تحقيق مبدأ المعاصرة ، أي التمشي مع ما تفرضه النظرة الغربية ، من مفاهيم وأذواق عصرية ، الحرص على مسايرة الأذواق العصرية المتأثرة بالنظرة الغربية في سمات الشخصية للداعية المسلم . فإرخاء اللحية مثلاً يضر بمصلحة الدعوة ، وربما كان عائقاً لها ، إذن فليزل هذا العائق للدعوة ، ولتقصر اللحي إن لم تحلق ، إرضاء للذوق المعاصر . أما تقصير الثياب إلى أنصاف الساقين أو إلى ما فوق الكعبين ، فإنما هو سببٌ في تنفير المدعوين من قبول الإسلام والالتزام به فليترك ، بل إن الثياب العربية ذاتها لم تعد لائقة عند بعض هؤلاء الدعاة لأن الزيِّ الغربي أكثر أناقة وقبولاً عند العصرانيين ، فصار أكثر دعاة الإخوان المسلمين لا يعرف من سمته بأنه داعية إسلامي حتى يتكلم ويعرف بنفسه .

إننا ندعو إخواننا الدعاة من جماعة الإخوان المسلمين أولاً أن لا يتوسعوا في دعوتهم إلى أسلمة العلوم الغربية فيما يسمى بالعلوم الإنسانية ذات الأصول المادية الإلحادية ، وكذلك الفنون الأدبية وغير الأدبية بحجة المعاصرة ، فإنها تحمل من جرائم الكفر وميكروبات الإلحاد ، ما يفسد الأمة ولا يصلحها ، ويطمس هويتها ولا يحررها ، وما يكون سبباً في أن نفقد شخصيتنا ، ونتباعد عن ديننا .

كما ندعوهم إلى الاعتداد بالشخصية الإسلامية في سمته وهيتها ، والتزامها بالسنن النبوية ، مهما خالفت الأساليب الغربية السائدة ، فلسنا بتبع لهذه الأمم ، بل نحن خيرُ أمةٍ أخرجت للناس ، قال تعالى : (كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) " آل عمران ١١٠ " ، فلنعتد بهذه الخيرية في كل أمر بما في ذلك مظهر المسلم وسمته . وقد رأينا كثيراً ممن أسلم من الغربيين أنفسهم لا يرضى لنفسه إلا أن يكون في هيئته وسلوكه ملتزماً بالسنن

النبوية ، محافظاً على السمات الإسلامي المعروف ، فأولى بالدعاة الصادقين أن يكونوا في سمتهم وأعمالهم قدوة صالحة للناس أجمعين .

أما عن وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها فقد توسعت جماعة الإخوان المسلمين فيها توسعاً بالغاً طلباً للمعاصرة ، حتى إنها جعلت من وسائلها الدعوية التمثيل المسرحي ، هذا الفن الوثني اليوناني الذي عرف عنه وعن القائمين عليه من ممثلين ومخرجين وغيرهم أنهم بيئة ساقطة رخيصة في موازين الأخلاق والمبادئ السوية ، أصبح هذا الفن بكل ما ينقله من آثار تلك الحضارات الوثنية وسييلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، دونما تورّع أو تنزّه عنه في معرض إبلاغ العقيدة والأخلاق الإسلامية لخالصة النقية .

إن الداعية بسبب هذا الفن المنحرف إذا أراد أن يبلغ دعوته بهذه الطريقة فما عليه إلا أن يسلم نفسه للمخرج المسرحي أو التلفازي أو نحوهم ، ليقوم بطمس شخصيته الحقيقية بالأصباغ والملابس التمثيلية بحسب الدور الذي يعطى له ، ثم يخرج للناس في صورة غير صورته ، ربما كانت صورة عرييد سكير ، أو مجرم محتال ، أو متكبر مختال ، أو عدو للدين لدود ، أو غيرها من الأدوار ، ليوصل هو وزملاؤه الدعاة الممثلون إلى الناس في نهاية التمثيلية مسرحية كانت أو غير مسرحية إبحاءً غامضاً بأن ما مثله على المسرح مخالف للدين بجانب للفضيلة . وإنهم إنما فعلوا ذلك تنفيراً للمشاهدين عن تلك المشاهد بزعمهم .

والحق أن أكثر المشاهدين ربما تعلق بما مثله من باطلٍ نظراً لما قد يكون في تمثيله من جودة ومهارة ، فينتج من جراء ذلك خلاف المقصود الذي أراده الدعاة . فسبحان الله! بأيّة سنّة يستنّ هؤلاء الإخوة في دعوتهم؟ وبأيّة قدوة يقتدون؟ من شرع لهم هذه الوسيلة؟ ومن أوجههم إليها؟

ألم تعد طرق الأنبياء والمرسلين ووسائلهم في إبلاغ دين رب العالمين صالحة لإبلاغ دين الإسلام في هذا الزمان؟ ألم تعد كافية ولا مغنية؟ حتى يأتي هؤلاء من عند اليونانيين الوثنيين ، والغربيين الإباحيين بهذه الوسائل المسرحية الملتوية المشبوهة .

وإذا احتجوا بالعصرانية فالسؤال هو : ألم تكن هذه الوسيلة - أي التمثيل والمسرح - موجودة في أزمنة بعض الأنبياء السابقين وفي مجتمعاتهم كعيسى بن مريم عليه السلام ومن سبقه ؟ بلى إن التمثيل في الحقيقة كان من أشهر الوسائل الدعائية والترفيهية في تلك الأزمنة عند اليونان والرومان .
فلماذا اجتنبها الأنبياء عليهم السلام وأعرضوا عنها ولم يتخذوها وسيلة لهم لإبلاغ دين الله إلى عباده؟

إنّ الجواب على هذا واضح جليّ ، وهو أن دعوة الأنبياء عليهم السلام مبنية على الصدق الذي لا يشوبه تمثيل ولا تزوير ، وعلى الخطاب المباشر الذي لا يحتمل التأويل ولا التهويل ، وهي دعوة نقية من شوائب الشرك والوثنية ، ومن لوثات اللهو واللعب والعبثية ، لذلك كانت وسائلها من الوضوح والجلاء والنقاء والصفاء بحيث لم تشبها شائبة التمثيل والتزوير .

لذا فإننا لندعو إخواننا من جماعة الإخوان المسلمين أن يتجنبوا هذه الوسيلة التي لا تليق بدين رب العالمين ، ولا بهدي سيد المرسلين ، وإنما تليق بحال من ابتدعها وتفنن فيها من الضالين المفسدين .

ثانياً : الشمولية :

لقد سعت جماعة الإخوان المسلمين إلى أن تكون شاملة بدعوتها جميع جوانب الحياة ؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها ، من منطلق أن الإسلام يشمل بعقائده وشرائعه جميع جوانب الحياة وينظمها .
فدخلت هذه الميادين المختلفة بهذه الرؤية الشاملة ، ولكن لا لمجرد الدعوة إلى إصلاحها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لممارسيها من السياسيين العلمانيين ومن يسير في ركابهم بحيث توجه توجيهاً إسلامياً بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع المجالات ولكنهم شاركوا في الممارسات السياسية مشاركات فعلية ، مع ما هي عليه من تلوث بالنظم العلمانية ، والفلسفات الإلحادية ، والتوجهات الإباحية المنحرفة ، بدعوى أنهم لو تركوا هذه المجالات للعلمانيين

وأشباههم من غير المتدينين كان الفساد أعظم ، ولما قامت للدين قائمة ، ولكن المأخذ الكبير عليهم هو في التنازلات التي يضطر لها كل من زج بنفسه تحت القوانين العلمانية اللادينية .

وقد غفل هؤلاء الدعاة - هداهم الله - وهم يزجون بأنفسهم في هذه الممارسات ، غفلوا أو تغافلوا عن أن الإسلام عقيدة وشريعة لا يقبل أن يكون شريكاً في ميادين بنيت على أسس مادية وفلسفات إحادية ، صاغها الملاحدة البائسون ، والإباحيون المارقون ، وهو دين الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليكون عقيدة ربانية ومنهجاً مقدساً لحياة البشرية ، ينظم حياة الإنسان الدنيوية ويهيئه فيها للحياة الأبدية الأخروية ، فجاء تاماً كاملاً بعقيدته السامية وشريعته الشاملة الكاملة ، قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) " المائدة ٣ " ، وقال تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) " التوبة ٣٣ " .

إنَّ الإسلام حين يكون هو المحكّم في أوجه الحياة المختلفة ، ستكون له سياسة غير هذه السياسة البراغماتية أوالميكافيلية ، وسيكون له اقتصاد غير هذا الاقتصاد الربوي اليهودي العلماني ، وستكون الحياة الاجتماعية والفكرية والأخلاقية على غير هذه الصورة الملوّثة بالانحرافات والممارسات غير الأخلاقية .

إنَّ الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، ولكن لا ليكون محكوماً بالزمان والمكان بل ليحكم هو بشرائعه الزمان والمكان ، ويقرر بسلطانه أصول المعاملات ، ومشروعية الممارسات ، في كل وجه من أوجه الحياة ، وفي كل ميدان من ميادين العمل والانتاج .

أما والحال كما هي عليه في هذا العصر ؛ سياسة تحكمها المصالح العلمانية الغربية ، واقتصاد يوجهه الجشع اليهودي الرأسمالي ، وأنظمة اجتماعية وقضائية تسيطر عليها الفكرة الغربية . فهل يقال إنَّ الإسلام يصلح لهذه الممارسات أو أنها

تصلح له؟ وهل يقال إنَّ من الدعوة إلى الله أن نقبل بالمشاركة أو المنافسة في مثل هذه الميادين الملوثة ، لنتمكن من التغيير أو التعديل أو الإصلاح؟

إنَّ هذا الوهم قد سيطر بالفعل على جماعة الإخوان المسلمين حتى أدخلهم في جميع هذه الميادين ، وبروح انهزامية ضعيفة ، قابلين بكل ما يفرض عليهم من قوانين وضعية منحرفة ، بدعوى المنافسة والتسابق لإحراز المقاعد والأصوات ، ومن ثم تحقيق المكاسب والإنجازات لصالح الإسلام كما يدعون .

لقد سيطرت على إخواننا الدعاة من جماعة الإخوان – هداانا الله وإياهم إلى الحق والصواب – عقدة الخوف من أن يوصم الإسلام بالتخلف عن ركب الحضارة الغربية ، أو عدم القدرة على ممارسة المجالات التي تخوضها حضارة الغرب المادية ، فجدّوا في السعي إلى ولوج كل باب يوصلهم إلى ممارسة الأنشطة المختلفة التي يمارسها الغرب ، وبنفس الأساليب إلاّ أنها معدّلة بعض التعديل الذي لا يخرجها عن كونها أصول علمانية ، ولكنه يظهرها على أنها غير مصادمة للشريعة الإسلامية ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخله هؤلاء الدعاة . كل ذلك استجابة لعقدة النقص والخجل من هذه الحضارة الغربية .

دخلوا السياسة منضوين تحت مظلة البرلمانات العلمانية ، قابلين أو صابرين على أنظمتها وقوانينها ومبادئها المستمدة من القوانين الغربية الملحدة ، متحالفين في أحيان كثيرة مع أحزاب شيوعية أو ليبرالية أو غيرها ، بل منتسبين إليها أحياناً توسلاً بها إلى دخول البرلمانات التي تحرم المشاركة الإسلامية الصريحة ، كل ذلك لإقامة حكم إسلامي مهجّن من الأنظمة الغربية أو معدّل عنها .

دخلوا الاقتصاد وساهموا بالفعل في إقامة مؤسسات اقتصادية معدّلة عن المؤسسات الغربية ، محاولين الخروج بصيغة اقتصادية إسلامية بعيدة عن الربا وغيرها من المحرمات المالية ، وهذا مجهود تشكر عليه جماعة الإخوان وتقدر ، لولا أن السعي الحثيث للاقتراب من النظام الاقتصادي الغربي في هذا المجال جعلهم يبحثون جاهدين عن الرخص الفقهية ، والآراء المتساهلة المرجوحة ، حتى قويت في هذه المؤسسات الاقتصادية شبه الربا والغرر وغيرها من الشبه التي

جعلت كثيراً من الناس يتوهمون أنه لا فرق بين هذه المؤسسات وغيرها من المؤسسات الربوية ، وهذا ما يفسر ضعف الإقبال عليها وعدم الثقة بها .
دعوا إلى أسلمة العلوم الإنسانية الغربية ، كما مرّ معنا في موضوع المعاصرة ، بما يفيد الإقرار بأصولها وفلسفاتها المادية ، مكتفين بالدعوة إلى تعديل وتهذيب هذه العلوم الإنسانية الغربية بما لا يؤثر في طبيعتها المادية ، وأصولها الفلسفية .

أما الإعلام فلا تسل عن ولع جماعة الإخوان المسلمين بالظهور الإعلامي ، في وسائله المتعددة ، مع عدم الالتفات إلى ما يحوط هذا الظهور من التقاف علماني عليه، حتى أصبح هذا الظهور طُعماً للمسلم العادي يقع بسببه في مصيدة التأثير الإعلامي العلماني الفاسد بحجّة حضور المشائخ فيه .

وللأسف فإن هذا السلوك الإخواني قد أقع كثيراً من مشائخ السلفية الذين كانوا ينتزهون عن مواطن الشبه ، وينأون عن مقاربة المصيدة الإعلامية بآلياتها التغريبية ، فأصبحوا تحت تأثير هذا السلوك الإخواني ، من الخائضين في غمار البرامج الإعلامية التلفازية ، أو الكاتبين المثابرين في الصحف العلمانية الشهيرة .

فإذا انتقلنا إلى النشاط التربوي لجماعة الإخوان المسلمين فإننا سنجد أننا أمام نظرية تربوية يتجسد فيها مبدأ الشمولية ويتّضح ، لولا ما يشوب هذه الشمولية من اجتهادات ومفاهيم وتصورات تخرج عن حدود الاتباع إلى الابتداع في كثير من الأحيان. فالتربية عند جماعة الإخوان تشمل الروح والجسد والفكر ، وهذا من حيث المبدأ جيد ولا غبار عليه .

فأما الروح فقد شرع الله سبحانه وتعالى العبادة لتربيتها وتزكيتها والسمو بها ، وقد عنيت جماعة الإخوان بهذا الجانب عناية كبيرة ، وهذا مسلك دعوي أصيل ، ذلك أن الغاية الأساسية التي تقوم من أجلها الدعوة الإسلامية إنما هي توجيه الناس وحثهم على عبادة الله وحده لا شريك له ، والعمل على الفوز بمرضاته وبلوغ جنّته . ولكن جماعة الإخوان تجنح في تربيتها الروحية إلى توجيه أتباعها إلى التصوف ، وتعدّه مسلكاً في العبادة مرضياً ، مع ما هو معروف عن الصوفية من الجهل

والخرافة والبدعة ، بل إن إمام جماعة الإخوان الشيخ حسن البنا كان ممن تربى على الطرق الصوفية وكانت طريقته هي الطريقة الحرافية ، فلا بأس عند كثير من أتباعه من اتخاذ الداعية الإخواني طريقة صوفية يتربى عليها ، ويلتزم بها ، بل إن أكثر مرشديهم من أتباع الطرق الصوفية ومن أقطابها مثل التلمساني وغيره .

وأما التربية الجسمانية ، فإن لجماعة الإخوان عناية كبيرة بالرياضة ، وخاصة كرة القدم ، ويؤخذ عليهم إسرافهم في تربية شبابهم على ممارستها مع ما فيها من اللهو والغفلة ، وكان حري بهم إذا كان ولا بد من الرياضة أن يجعلوا من رياضات ألعاب القوى المبنية على ألعاب رجولية وبطولية لها آثارها الجسمية والنفسية الإيجابية على اللاعبين وسيلة تربية جسمانية وأخلاقية ، أما كرة القدم فهي لا تعدو عن كونها وسيلة لهو ولعب وغفلة لا تربية وأخلاق ورجولة . وهي - للأسف - وسيلة من أهم وسائل الدعوة والتربية عند جماعة الإخوان المسلمين ، وليتهم إذ جعلوا الرياضة وسيلة من وسائل الدعوة والتربية اكتفوا منها بما يحمل على الرجولة ، ويحفز على البطولة والجهاد ، كألعاب القوى المختلفة من قفز وجري وتسلق وحمل أثقال وسباحة ورماية ، وركوب خيل ونحوها .

ولكنهم جعلوا جل اهتمامهم وعنايتهم بألعاب كرة القدم ، مع أنها من وسائل اللهو والغفلة التي ينبغي أن يتنزه عنها الدعاة أو يقلوا منها ولا يستكثرها .

وأما الجانب الفكري فإن جماعة الإخوان المسلمين تشجع أتباعها على الثقافة العامة ، والإطلاع على الفكر الإنساني بكل ألوانه وأبعاده وتوجهاته ، لتكون للداعية ثقافة عامّة ، ورؤية شاملة ، وقدرة على الحوار .

لذا فإن التوجه إلى الثقافة العامّة أقوى لدى جماعة الإخوان من التوجه إلى العلوم الشرعية عن طريق الدروس العلمية على يد المشايخ المتخصصين في العلوم الشرعية .

إن الدعوة الشمولية في الفكر الإخواني تعني أن على الداعية التنزل في ممارسة الحياة بجميع أنشطتها بما يتناسب مع الذوق العام للمجتمع وبما لا ينتج عنه تميز يدعو العامة للنفرة من الداعية . وهذه الممارسة تقتضي التنزل مع

مقتضيات الحياة العصرية بكل ما فيها من شوائب المادية ، ولوثات المفاهيم الغربية ، ومجارات الواقع المشوب بالممارسات الخاطئة ، والسلوك غير الفاضل شرعاً أحياناً .

ولو أنّ جماعة الإخوان اقتصرت على المجهود الدعوي الإرشادي الإصلاحى ، لما احتاجت إلى هذا التنزل الذي جعل دعوتها مرقعة بألوان من الترخصات وأجزاء من التلفيقات لإرضاء الذوق العام للمجتمعات .

ثالثاً : الوحدة الإسلامية :

الوحدة الإسلامية مطلب ينشده كل مسلم ، ويتمناه ، ويتساءل هل يتحقق هذا المطلب العزيز؟ وعلى أي الأصعدة يتحقق؟ ومتى؟ وكيف؟

وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري جاء إلى مصر رجل أفغانى أو إيرانى على خلاف في نسبه ، يسمى (جمال الدين الأفغانى) ، ينادى بمبدأ الوحدة الإسلامية ، ويدعو إليه . وذلك في الوقت الذي كان فيه الاستعمار الغربى قد مزق جسد الأمة الإسلامية أشلاءً ، وفرّقها دويلات وشيعاً وأحزاباً ، عدا وسط جزيرة العرب ، فقد زهدوا فيه ، وأبعدهم الله عنه .

فكانت الفكرة – فكرة الوحدة الإسلامية -حلماً جميلاً وأمنية غالية أيقظتها في النفوس عاطفة الإسلام ، وأجّجتها في القلوب الغيرة على أمة الإسلام التي بسبب تفرّقها وتجزئة بلدانها غدت لقمة سائغة للأعداء .

ومن ثم فقد تحمّس لهذه الفكرة عدد من علماء مصر على رأسهم الشيخ محمد عبده ، ثم تلميذه الشيخ رشيد رضا ، وأخذت تتردد في أقوالهم وكتاباتهم .

أما كيفية تحقيق هذه الوحدة ، فقد رأى جمال الدين الأفغانى وتلميذه محمد عبده أنّ تحقيقها يكون على بُعدين :

البعد الأول : التقريب بين أهل السنة والشيعة ، وقد تأسس لهذا الغرض مركز في القاهرة يبحث في سبل هذا التقريب ، ليكون ملتقى دعاة السنة والشيعة ، للتفاهم والتقريب .

وأما البعد الثاني : فعدم التعرض لأي خلاف يكون بين المذاهب والفرق ، ولو كان في أصل العقيدة ومعاهد التوحيد فضلا عن الفروع الفقهية أو السنن النبوية المرعية ، وذلك طلباً لتحقيق هذه الوحدة المنشودة .

ثم جاء بعد ذلك الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين فأسس جماعته (جماعة الإخوان المسلمين) على هذا الأصل (تحقيق الوحدة الإسلامية) ، وأطلق كلمته المشهورة : "نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه" ومقصوده الخلاف بين الفرق والمذاهب .

وبدأ الشيخ حسن البنا يطبق هذا المبدأ تطبيقاً عملياً في تكوينه لجماعته الدعوية ، فيضم إليها شتى المشارب ، ومختلف المذاهب ، تحقيقاً لمبدأ الوحدة الإسلامية ، مستوعباً لها في منهج هلامي يضم جميع الأطراف ، فكان من نتيجة ذلك :
أولاً : اجتناب الدعوة إلى التوحيد إلا على أساس الحاكمية ، أي بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله وذلك على تفسير كل مذهب .

أما ما يتعلق بتوحيد العبادة الذي هو أساس دعوة الأنبياء عليهم السلام والذي يقتضي نبذ جميع أنواع الشرك في العبادة كتقديس القبور والأضرحة ، والتقرب إليها بأنواع القربات ، والاعتقاد في أصحابها أن لهم القدرة على التصرف والعطاء والمنع وغير ذلك مما ينتشر في كثير من بلاد المسلمين بواسطة الطرق الصوفية أو المذاهب المنحرفة الأخرى ، فلا تتطرق إليه دعوة الإخوان المسلمين ، وليس هو من أصول دعوتها . بل إن من أصحاب الطرق الصوفية ، والعاكفين على أنواع من الشراكيات والمخالفات الشرعية من هم أعضاء في جماعة الإخوان ، ومنهم من هومن قاداتها وزعمائها . وكل ذلك طلباً للوحدة الإسلامية وهرباً من الفرقة والخلاف .

ثانياً : عدم الإنكار على أهل البدع أياً كانت ، وعدم الدعوة الجادة إلى اتباع السنة ومنهج السلف الصالح ، بل الجنوح إلى العقلانية التي لا تقف عند حدود النص، بل تتعدى إلى تفسيره وتأويله وفق ما ترتضيه تلك العقول المفسرة له ، وما يقتضيه واقعها الذي تعيشه ، ومذهبها الذي ترتضيه .

فالوحدة الإسلامية قد لا تتحقق كما يريد الأفغاني وتلامذته مع الدعوة إلى توحيد العبادة ، ومع الالتزام بمنهج السلف في الاتباع ، واحترام النصوص بالوقوف عند دلالاتها اللغوية الشرعية ، فهذا المسلك السلفي سيحمل الفرق الضالّة والمبتدعة على النفور منه ومصادمته كما هو الحال مع السلفية ، ومن ثم عدم تحقق الوحدة الإسلامية كما يريدون .

من أجل ذلك فإن الإغضاء عن الخلافات سواءً كانت في أصل العقيدة أو في فروع الشريعة أمر تتطلبه هذه الرغبة في تحقيق الوحدة مهما كان الثمن .

إنّ الدعوة إلى الوحدة الإسلامية جعلت جماعة الإخوان المسلمين يتعاملون في دعوتهم إلى الله تعالى بأساليب أهل السياسة ، فيسارعون إلى التنازل عن بعض المبادئ في سبيل كسب الأعضاء الهامين والأتباع الكثيرين ، ولا بأس بالإغضاء عن بعض المخالفات الشرعية ، أو ارتكابها في سبيل كسب الجماهير ، وقبول التائبين . ويعدون ذلك من الحكمة وتأليف القلوب ، وتوحيد الصفوف .

وإنك لتعجب أن يكون من جماعة الإخوان المسلمين – نتيجة للإغضاء والتسامح – محامون يترافعون بالقوانين الوضعية ، بل مستشارون وقضاة يحكمون بغير ما أنزل الله .

كما إن من أعضاء هذه الجماعة كتاباً ومفكرين ينادون باختلاط الجنسين ، أو بالعمل السياسي للمرأة ، أو حتى التمثيل والغناء للمرأة ، وهي أمور تمنعها نصوص شرعية اتفق عليها سلف الأمة ، ومع ذلك ففي منهج جماعة الإخوان المسلمين ما يتسع لكل هذه المشارب لكي تتحقق بها الوحدة الإسلامية .

إضافة إلى هذا كلّه فإن السعي وراء تحقيق الوحدة الإسلامية جعل جماعة الإخوان المسلمين يبحثون عن أقصر الطرق إلى تحقيق هذه الوحدة ، وأجدرها بالوصول إليها ، فوجدوا أنه الحكم ، فإذا قامت حكومات إسلامية في أقطار العالم الإسلامي تعنى بتطبيق الشريعة الإسلامية ، فمن السهل بعد ذلك أن تقوم بين هذه الحكومات وحدة إسلامية ، ربما تصل إلى أن تصير الأمة كلها تحت حكم واحد ، وهذا هو الحلم المنشود .

ولكن تجارب جماعة الإخوان المسلمين المريرة مع الحكومات الطاغية ، التي ما إن أحست بهذا التوجّه لدى جماعة الإخوان حتى أسرع إلى اتخاذ كل التدابير للقضاء عليها ، فقتلت زعيمها ومؤسسها الشيخ حسن البنا ، وسجنت دعائها ، وأسرفت في تعذيبهم ، وتشريدهم ، واتهامهم بالعنف والتآمر والسعي لقلب نظام الحكم ، وأخيراً قامت الحكومات المستبدة بتصنيفها على أنها جماعة إرهابية لتتم محاربتها عالمياً وليس محلياً أو إقليمياً فقط .

وقد وصل الأمر بجماعة الإخوان المسلمين إلى هذا الحد من المعاناة رغم التنازلات السياسية من خلال الأساليب الحزبية التي قامت بها الجماعة سعياً منها إلى المشاركة السياسية بنفس الطرق والأساليب العلمانية للوصول إلى مواقع القيادة ومراكز اتخاذ القرارات ، والمشاركة في البرلمانات ، وغيرها من قنوات العمل السياسي ، مع القبول التام بكل ما تقتضيه هذه المشاركة من الالتزام بالقوانين والأعراف والديساتير العلمانية ، والخضوع لها ، والاحتكام إليها ، والقسم على الوفاء لها والإخلاص في تطبيقها ، وكل ذلك لطمأنة الحكومات العلمانية ، بأن الجماعة لا تتآمر عليها ، ولا تتخذ أساليب العنف ضدها ، وإنما تخضع لقوانينها ، وتسعى إلى مشاركتها السياسية بالطرق التي ترتضيها تلك الحكومات ، ولكن هذه الأساليب لم تكن ترضي تلك الحكومات المستبدة ، وفي نفس الوقت هي لا ترضي المتمسكين بالنصوص الشرعية والطريقة السلفية لمصادمتها كثيراً من النصوص وكثيراً من منهج السلف الذي هو المرجعية الرئيسة لأهل السنة والجماعة .

لقد أصبحت المناورات السياسية رائدة العمل الإخواني ، والأصل الذي تنبثق منه كافة الجهود الدعوية تقريباً ، وهي تارة تسمى الحكمة ، وتارة تسمى الواقع ، وتارة تسمى روح العصر ، أو روح الشريعة ، وفي جميع الأحوال فهي مبررة ، بناء على اعتمادهم العقلانية أصلاً في فهم الدين وفهم الواقع . فكل ما ساغته العقلانية ، واقتضته ظروف العصر والواقع فهو من الدين ، وما لم تسغه ، أو ليس من مقتضيات العصر فليس من الحكمة ولو كان نصاً ثابتاً صريحاً الدلالة . وليست

هذه مبالغة بل هذا ما تنطق به فتاوى الإخوان وبياناتهم السياسية لمن أراد الرجوع إليها .

ومن هذه المنطلقات نرى كيف يجيزون القسم بين يدي العلمانيين على تطبيق دستورهم ، وكيف يجيزون مشاركة المرأة في العمل السياسي مع الاختلاط والتبرج بالضرورة ، وكذلك التعاون مع بعض الأحزاب العلمانية وحتى الشيوعية منها والتحالف معها ، بل والانضمام إليها ، والتصويت لزعمائها ، كل ذلك خدمة للدين ووصولاً إلى الحكم كما يعتقدون .

وهكذا يمارس الإخوان العمل السياسي على الطريقة العلمانية ، بصفته لعبة سياسية ؛ التنازلات فيها عن بعض المواقف والقيم هو من مقتضياتها لكسب مواقف أخرى والحصول على مكتسبات إضافية ، ولو كان هذا التنازل مما لا يسوغ شرعاً ولا تحتمله النصوص الشرعية .

وإذا فهمنا أن العلمانيين لا يباليون بالتنازل أحياناً عن بعض آرائهم وأفكارهم في سبيل الحصول على مكاسب سياسية ، أو مناصب إدارية ، أو مزايا مالية ، أو نحو ذلك ، فكيف نفهم أن يتنازل الإخوان المسلمون ، وكل من يمارس العمل السياسي باسم الدين عن أصول شرعية ومقتضيات دينية لا يصح شرعاً التنازل عنها ؟ أيتنازلون عن شيء من دينهم الذي شرعه الله لعباده لكسب بعض المواقف ، أو الحصول على بعض المميزات ، حسب ما تقتضيه اللعبة السياسية؟ وهل من حق المسلم أن يفعل هذا، ولو خدمة للدين أو المسلمين كما يعتقد؟

إننا ندعو إخواننا من جماعة الإخوان المسلمين إلى التورع في ممارساتهم السياسية ، وفيما تقتضيه هذه الممارسات من رؤى وتصورات ومواقف واجتهادات . فالانسحاق وراء الأحلام السياسية ، والرؤى المستقبلية ، تجعل الركض وراء هذه الأمور يتجاوز الحدود الشرعية ، والثوابت العقدية ، إلى متاهات من المفاهيم الضبابية، والمواقف الهلامية ، تجعل الدين لعبة سياسية ، ومراوغات دبلوماسية ، ومبادئ مصلحة ، لا حدوداً قائمة ، ونصوصاً ثابتة ، وقيماً راسخة .

إن السياسة وجميع مجالات الحياة ومناشطها يجب أن تخضع خضوعاً تاماً للإسلام ، وتقف عند حدوده ، وتسير وفق شريعته ومنهجه . ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فحين عرضت قريش عليه الرئاسة ، وعرضت عليه المال ، وعرضت عليه متع الدنيا ، لم يقل أكسب هذه الصفقة ثم استأنف بعد ذلك الدعوة ، حاشاه من ذلك ، بل قال قولته العظيمة الكريمة : "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه" .

ثم لننظر كيف أنه صلى الله عليه وسلم مع عظيم حفظ الله له ، وكرام عناية به ، كان يعاتبه أحياناً على بعض المواقف التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهم فيها أن يتألف المشركين ببعض المهادنة اجتهداً منه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإن لاتخذوك خليلاً * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) "الإسراء ٧٣-٧٥" ، وقال تعالى : (أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة) "عبس ٥-١١" . وهذا يدل على أن الاجتهاد لا يكون في أصول الدعوة ، فهي قائمة على نصوص صريحة ، وسيرة نبوية صحيحة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلقاها وحياً سماوياً لا يحيد عنه ولا يتجاوزها .

فالحذر الحذر – إخواني الدعاة – فإنه مهما كانت النوايا حسنة ، والمقاصد عالية كريمة ، فإن الغاية لا تبرر الوسيلة ، بل يجب أن تكون الوسيلة والغاية كلاهما في إطار الدين وتحت لوائه ، والوسائل السياسية اليوم ليست كذلك فما المبرر لخوض وحولها ، والغرق في مستنقعاتها .

إنَّ للدعوة وسائلها الكريمة الكفيلة بظهور الدين وتمكينه بإذن الله دون الحاجة إلى سياسية العلمانيين وعلمانية السياسيين ، والله الموفق والمستعان ، وعليه التكلان.

رابعاً : فقه التيسير :

إن التملق في هذه الآونة أصبح عند بعض الجماعات الدعوية وسيلة من وسائل الدعوة ، وأصلاً من أصولها ، ومنها جماعة الإخوان المسلمين . فكما تمّلت جماعة الإخوان المسلمين الحكومات العلمانية بانتهاج أساليبها السياسية والدبلوماسية ، والانضواء تحت مظلة التشريعات والقوانين التي تحكم مجالسها النيابية ، أو أحزابها السياسية ، طلباً للوصول إلى إقامة الحكومة الإسلامية (العصرية) . فإنها كذلك تمّلت الجماهير الإسلامية ، بالدعوة إلى الترخّص في الفتوى الشرعية بدعوى التيسير ، سواءً كان ذلك في الأصول العقديّة ، أو الأحكام العملية .

ومن تبريراتهم لهذا الترخّص والتنزل بالأحكام الشرعية ما يلي :

- ١- لكي يقبل الناس على الدين إذا رأوا التيسير في أحكامه ومعاملته ، وتنتشر الدعوة ، ويعود المسلمون جميعاً إلى تطبيق تعاليم الإسلام وشرائعه .
- ٢- لنألا يوصم الإسلام بالتشدد ، والتطرف ، والرجعية .
- ٣- لمسايرة العصر الحديث ، والانفتاح على ما فيه من تطوّر وتمدّن ، فالتيسير يظهر الإسلام بمظهر التسامح ، والمعاشية لثقافات العصر ، وتطوراته المادية .
- ٤- لأن المسلمين في هذا العصر يقعون تحت وطأة المغريات والملهيات ، التي أغرقتهم بها الحضارة الغربية ، وروّج لها الإعلام الغربي بكل وسائله ، فأصبحوا بحاجة إلى أن تنتزل معهم بالتيسير في الأحكام إلى الحد الذي يشعرون معه أن الإسلام لا ينتزعهم من حياتهم العصرية ، ولا يحرّمهم من التمتع بمنجزاته المادية ، بل يعيشون متعمهم ورجباتهم مع بقائهم على الإسلام .
- ٥- لأن الإسلام أتى بالتيسير ورفع الحرج قال تعالى : (هو الذي اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) " الحج ٧٨ " ، وقال صلى الله عليه وسلم : "يسرّوا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفروا" .

ومع تسليمنا بأن هذه التبريرات منطقية وواقعية وشرعية إلا أن الترخص بها له ضوابطه الشرعية وحدوده المعتبرة التي لا ينبغي تجاوزها والتوسع فيها فوق ما قرره علماء الشريعة من سلف هذه الأمة .

لهذا فنودّ أن ننبه إلى أمور هامة - ونرجو أن تتسع صدور إخواننا الدعوة

لها ، ويتأملوا ما فيها من الحق والصواب - وهي كما يلي :

١- إنَّ الإمعان في الترخص ، والتيسير في الأحكام والعقائد عن طريق الاجتهادات غير المنضبطة بالنصوص الشرعية مسلك مخالف لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ، خصوصاً أن الأصل في الدين هو العزيمة لا الرخصة وحثّ الناس على أخذ دينهم بالعزائم ، وترغيبهم في الوصول فيه إلى مراتب الكمال ، ودرجات السابقين . وتوجيههم إلى التنافس في الخير ، وبذل أقصى الجهد وأعظم التضحيات في سبيل ذلك .

ولا أدلّ على هذا كلّ مما نعلمه من حياة الصحابة رضوان الله عليهم ، وجدّهم واجتهادهم ، وبذلهم وتضحياتهم ، ولو أنهم تربّوا على الترخص والأخذ بالتيسير لما كان منهم ما كان من فعالٍ جميلة ، وخصال نبيلة .

أما الأخذ بأوسط الأمور وأيسرها ، والأخذ بالرخص الشرعية ، فإنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه إليه ويحثُّ عليه ، عندما يرى من أصحابه من يندفع اندفاعاً قوياً إلى تحميل نفسه المشقات العظيمة في العبادة أو الجهاد أو الزهد أو نحو ذلك ، بحيث ربما أضرَّ بنفسه وحملها على ما لا تطيق ، أو من يخاف عليه الغلوّ والتنطّع في الدين بما هو خارج عن هديه صلى الله عليه وسلم فيردّه إلى القصد ، ويدله على التوسط ، ويحمّله على التيسير .

أما أن تكون الدعوة إلى الترخص والتيسير منهجاً للدعوة يخاطب الناس بها ابتداءً ، وفي أناس يتهاقنون على الترخص ، ويسعون إلى التقلت من الأحكام الشرعية، ويربون على ذلك ، مع الإنكار في نفس الوقت على المجددين المشمرين من أهل العزائم في الدين ، أو المتقين المتورعين ، أو نحوهم ، وحسبانهم في عداد أهل التنطّع والغلو ، أو التطرف والجمود ، أو ينسبون إلى عدم الفهم ، أو إلى قلّة

البصيرة . فهذا مسلك ولا شك غير قويم ، فهو إنما يوجه الناس إلى بوابة الخروج من الدين ، ويدعوهم إلى التنصل من تكاليفه التي قوامها مجاهدة النفس والشيطان ، وأطر النفس على الحق والالتزام به . وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : " حَقَّتْ النار بالشهوات ، وحَقَّتْ الجنة بالمكاره " .

وإذا ما رأى الناس الدعاة إلى الله تعالى وهم يترخصون في الأحكام ، ويتساهلون في الأخذ بالدين ، ويوجهونهم إلى الترخص والتساهل بدعوى التيسير عليهم ، فإنهم ولا شك سيجدون أنهم يدعون إلى أدنى المراتب ، وأقل المكاسب ، لا إلى التسامي في مراتب الكمال ، والتنافس في عزائم الدين ، ومن ثم ترخص في نفوسهم المطالب ، ويهون عليهم ارتكاب المعاييب .

٢- إنَّ الدعوة إلى الأخذ بالرخص بدعوى التيسير ، يجعل الناس يعتقدون أنَّ هذا هو الدين كله ، أو أنَّ هذا أفضل ما في الدين وأحسنه ، ثم ينظرون إلى الأخذ بالعزائم في الدين ، والجد والاجتهاد ، ومراتب الكمال ، على أنها نوع من التنتع والخلو ، أو ما يسمونه اليوم بالتطرف والتشدد ، أو القسوة والغلظة ، أو يقولون كما يشيع بين كثير من الناس اليوم : هذا ليس من الدين في شيء ، مع أنه من صميم الدين ، وخيره ، وأفضله .

٣- وبسبب الدعوة إلى الأخذ بالرخص أو ما يسمّى التيسير ، يتربى الناس على اعتقاد أن الدين إنما جاء ليخدم مصالحهم الدنيوية ، ونوازعهم البشرية ، ويحافظ على متعهم النفسية والجسدية ، فتصبح هذه الحاجات الدنيوية عندهم هي الأصل ، فما وافقها وأباحها من الدين فهو الحق ، وما خالفها وحرّمها أو كرهها فليس من الدين في شيء ، فيقاس الدين بمقاييس المصالح الدنيوية ، والنوازع البشرية .

٤- وبسبب الدعوة إلى ما يسمونه بفقّه التيسير، فإن حياة السلف الصالح وما كانوا عليه من اجتهاد في العبادة ، وغيره على الدين ، وعلوّ في الهمم ، تلك الحياة الفاضلة تصبح عند من تربى على الترخص والتيسير نوع خيال ، لا يمكن تطبيقه في واقعنا المعاصر ، ولا الاقتداء به ، فهو اليوم غير صالح للتطبيق كما يقول بعضهم ، لأن عصرنا يقتضي التساهل ، أو لأنهم لم يكونوا يحتاجون إلى التيسير ،

أو لأننا فهمنا الدين أفضل مما فهموه ، أو غير ذلك من الحجج الواهية ، والجرأة الزائفة على الدين وعلى سلف الأمة . وكل ذلك بسبب انفتاح باب التيسير والترخص في الدين على مصراعيه ، حتى ولجه كل من لا همّة له ، ولا رغبة ، ولا نية حسنة في الدين ، بل يتلمس أن يعد من أهله رياءً ، أو أن يتقي منهم تقاة .
ولنقف الآن مع الدعاوى التي يحتج بها أصحاب فقه التيسير لنجيب عنها في

عجالة وإيجاز ، فنقول :

١- أما القول بأن الدعوة إلى فقه التيسير أو فقه الترخص إنما قامت لتكون سبباً في انتشار الدعوة ، وقبول الناس لها .

فالجواب : أن الدعوة هي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك الميراث النبوي الذي لا ينبغي لأحد أن يزيد عليه أو أن ينقص منه ، كما لا ينبغي أن تصاغ بغير الصياغة النبوية ، ولا يسلك بها غير المسلك المحمدي الذي بلغ به الناس . فالدعاة مقتدون ، والاجتهاد في الدعوة إنما يكون في المواقف المتغيرة لا في منهج الدعوة وأصولها المؤصلة بنصوص القرآن والسنة ، ولذلك فإن الاجتهادات التيسيرية ، والدعوات الترخيضية ، خروج بالدعوة عن مسيرتها النبوية ، وطريقتها المحمدية : (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) " يوسف ١٠٨ " .

وأما قبول الناس للدعوة أو عدم قبولهم لها ، فهذا أمر يعود إلى ما قدره الله لهم من الهداية أو الضلالة ، وليس من شأن الداعي إلاّ البلاغ والدلالة. (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) " البقرة ٢٧٢" ، (وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين) "النور ٥٤ "

٢- أما دعوى أننا نتيسر في الدين وترخص حتى لا يوصم الإسلام بالتشدد ، أو التطرف ، أو الرجعية . فهذا القول إنما يصدر عن انهزامية وانكسار ، لا ينبغي أن تكون من صفات الدعاة الأخيار ولا من منهجهم ، فنحن ندعوا إلى ديننا الذي ارتضاه الله لنا وللناس كافة ، على الطريق الذي بلغه به رسولنا صلى الله عليه وسلم ، دون التفات إلى أقوال المغرضين ، أو سخرية الساخرين ، أو استخفاف المستخفين .

٣- وأما دعوى حال الناس اليوم وما هم عليه من الضعف في مواجهة المغريات والملهيات التي جاءت بها حضارة الغرب وروج لها إعلامهم ، فالجواب عليها أن الدين إنما جاء ليرتفع بحياة الناس ويسمو بهم عن الشهوات المادية المحرمة ، والنوازع الحيوانية المستقدرة ، إلى مراتب العبادة ، وسمو الفضيلة ، وصفاء الإيمان ، ونقاء السلوك والمعاملة ، وهو يتدرج بهم في العلو والسمو إلى درجات الكمال البشري ، والمثال الإنساني ، والحياة الكريمة الفاضلة . أما التنزل بالدين إلى موافقة الحياة المادية الجامدة ، والشهوات المتدنية التافهة ، والسلوك اللاهي الساهي الذي تقسو معه القلوب ، وتهزل الأرواح ، وتضعف الضمائر ، والذي تخفت به الأنوار الإيمانية ، وتجف ينبابيع الروحانية، فإن ذلك إضاعة للدين ، وانحراف عن مسلك النبي الأمين .

والله نسأل لنا ولإخواننا التوفيق والسداد والهداية والرشاد إلى طريق الحق ومزيد الإمداد .

وفي الختام فإن هذه دعوة صادقة مخلصة إلى إخواننا الدعاة من جماعة الإخوان لمسلمين أن يراجعوا أصولهم التي بنوا عليها دعوتهم ، وأن يتأملوها حق التأمل ، فما كان منها مبنياً على السنة النبوية والطريقة السلفية ، فهو الأصل الأصيل ، وما كان منها مبنياً على التجارب والاجتهادات والافتراضات فليعرضوه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليجتهدوا في المطابقة بينه وبينها على طريقة السلف الصالح ، فهي الحق الذي لا مرية فيه ، والصواب الذي لا تثريب عليه ، وليخضعوا الأعصار والأمصار ، والآراء والأفكار لمنهج الكتاب والسنة ، فإن دين الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، ويحكم في ما سواه ولا يحكم ما سواه فيه ، وليصبروا وليصابروا ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) ، والله الموفق والمستعان ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

النصيحة الثانية :

الدرع السبيغ في نصيحة جماعة التبليغ

مقدمة :

هذه نصيحة أقدمها إلى إخواني الدعوة إلى الله من جماعة التبليغ ، امتثالاً لقول الله عزّ وجل في وصف المؤمنين : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) " العصر : ٣ " ، واستجابة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ، قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم من حديث أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه .

والدعوة إلى الله هم أولى الناس بتقدير النصيحة ، والإقبال عليها ، والقبول بكل ما فيها من الحق والفرح به ، وإن كان مرأ ؛ لأنهم هم أهل النصيحة ، وأربابها ، فهم يسعون ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً لكي يقبل الناس نصحتهم ، وينتفعوا بما لديهم من العلم والحق ، ويسوؤهم أن ترد عليهم نصيحتهم ، ويتنكر الناس لهم ، لما يعلمونه من العاقبة الحسنة لمن قبل بالحق وعمل به وصبر عليه ، والعاقبة السيئة لمن ردّ الحق ، وأعرض عنه ، وتبرم به ، فهم لذلك أولى الناس بقبول النصح ، والاستجابة للحق ، والعمل به .

وقد حملني على كتابة هذه النصيحة لإخواني الدعوة التبليغيين أمور منها :

١- إن الدعوة إلى الله تعالى هي إبلاغ للرسالة النبوية ، وأداء للأمانة الشرعية ، ونصح للأمة المحمدية ، ودلالة على الهدى والجنة ، فمن حملها فعليه أن يؤديها كاملة غير منقوصة ، سوية غير معوجة ، نقية غير مشوبة .

وإن نصحه في القيام بدعوته على أتم الأحوال وأكمل الوجوه أعظم من نصح غيره ممن قصر في عبادته ، أو انحرف في ديانته ، لأن تقصير الداعي أو خطأه يعم الأمة ، أما تقصير العابد أو خطأه فيخصه وحده ، ولا يتعدى إلى غيره .

٢- إن الدعاة التبليغيين لهم انتشار في أنحاء الأمة ، وأقطار الأرض ، فأثرهم في الناس أوسع ، ونصحهم لذلك أولى .

٣ - إن من دعاة التبليغ من يندشون الحق ، ويتواضعون لقبوله ، فسمه التواضع فيهم ظاهرة ، وطلب كثير منهم للحق بين جلي ، إلا من غلبت عليه العصبية لجماعته ، أو الحمية لمنهجه ، أو من داخله شيء من بطر الحق ، واستنكاف الرجوع إلى الصواب ، فأولئك عسى الله أن يلهما وإياهم الهدى وأن يسلك بنا وإياهم سبيل الرشاد .

٤ - إني قد خرجت معهم في رحلاتهم الدعوية ، وعاشت طريقتهم ومنهجهم فيها ، كما إني قد قرأت جل ما كتب عنهم وعن طريقتهم ، فعرفتهم معرفة نظرية، وخبرتهم خبرة عملية ، ووقفت على جوانب من القوة والضعف ، والخطأ والصواب في دعوتهم ، فكان من حقهم عليّ أن أقدم لهم نصحي ، وأن أبين لهم ما تجلّى من الحق عندي ، وأن أنبههم إلى مواضع من الخلل والزلل في منهجهم حسب علمي ، وقدر طاقتي ، لعل الله يخرج منهم من يلتزم الحق ، ويصحح الطريق .

٥ - إن كثيراً مما كتب عنهم من الأخطاء المنهجية أو العقديّة ، قد تداركه المشرفون على طريقتهم ومنهجهم فيما يتعلق بدعاتهم من العرب ، فعدلوه أو صححوه أو حذفوه في مراحل سابقة ، لتحظى دعوتهم بقبول الدعاة من العرب خصوصاً أهل الجزيرة العربية لمكانهم من الحرمين الشريفين ، ولمنزلتهم من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم ، ولشيوخ العلم السلفي بينهم .

أما ما يتلقاه الأعاجم من طريقتهم خصوصاً أهل الهند والبنغال والباكستان فهو باقٍ على أصولهم الصوفية الديوبندية ، وطرقهم التعبدية من قادرية ونقشبندية وسهروردية وجشتية .

فكان التعديل في منهجهم للدعاة العرب هو بفضل الله تعالى ثم بفضل ما كتب عنهم من نقد وتحذير من بعض المشايخ والدعاة السلفيين نتج عنه تعديل وإخفاء كثيراً من المعتقد الصوفي الصريح في دعوتهم فيما يتعلق بالدعاة العرب ، حتى إن الدعاة التبليغيين المتأخرين منهم ينكرون كثيراً مما كتب عن جماعتهم من نقد وتحذير ، ويقولون هذه الأمور التي تنتقد من البدع والخرافات والشركيات لانجدها في منهج الجماعة الذي تتلقاه اليوم ، فيتبادر إلى أذهانهم تكذيب كثير مما كتب عن الجماعة وهم واهمون في ذلك . والحق أنهم لم يدركوا إلا ما عدل من منهج التبليغيين ، وهو مع ذلك لا زال يحمل بعض الأخطاء والمخالفات العقدية والمنهجية التي نحن في هذه المقالة بصددها معالجة ما يتيسر لنا منها ، رجاء أن يعيد المشرفون على جماعة التبليغ النظر في طريقتهم كرّة أخرى فينقحوها ويهذبوها حتى توافق المنهج النبوي من جميع جوانبها ، ثم يعمموا هذا المنهج على جميع دعواتهم من العرب والعجم ليتحقق في منهجهم صحة الاعتقاد وصدق المتابعة مع سلامة المنهج الدعوي ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

وقبل أن أقف بإخواني الدعاة من جماعة التبليغ على ما أردت النصيحة به لهم، أود أن أذكر غيرهم ممن يطلع على هذه النصيحة ، أن لهم - أي التبليغيين - من الآثار الطيبة ، والصفات الحميدة ، ما يذكر لهم فيشكرون عليه ، وهو من توفيق الله لهم وفضله عليهم . فأما ما هو من محامدهم ، فنذكر منه ما يلي :

- ١- ما عرف عنهم من التواضع ، ولين الجانب ، وحسن الخلق ، وخاصة خلق الإيثار والبشاشة وحسن المعاملة .
- ٢- ما عرف عنهم من الإخلاص لدعوتهم ، والتفاني في نشرها ، وبذل الأوقات في ذلك دون كلل ولا ملل .
- ٣- ما عرف عنهم من العناية بالصلاة التي هي عمود الدين ، وحسن الخشوع فيها ، والحرص على نوافلها وخاصة قيام الليل .

٤- ما عرف عنهم من التزهيد في الدنيا وزينتها ، والتحذير من لهوها وبطرها ، والتوجيه إلى العمل لما بعد الموت من أعمال صالحة ، وحسن معاملة .
٥ - ما عرف عنهم من البساطة وعدم التكلف في وسائل الدعوة ، ومخاطبة المدعويين .

٦- طريقتهم التربوية في نقل المدعويين من بيئاتهم التي تعوقهم عن الالتزام بالدين ، إلى بيئات دعوية يعايشون فيها العبادة ، ويتذوقون فيها حلاوة الإيمان ، ويطبقون فيها الالتزام بالدين ، ويتدربون فيها على الدعوة إلى الله ، فيما يسمونه بالخروج في سبيل الله .

٧- مخاطبتهم لعوام المسلمين بالألفاظ السهلة ، والمعاني الإيمانية المؤثرة ، مما يذكرهم بالله تعالى ، ويرغبهم في الإقبال على الدين والعبادة . وغير ذلك مما يذكرون به ، ويشكرون عليه .

وأما ما يؤخذ عليهم ، ونصحهم بالتنبيه له ، وتصحيح مساره ، وتقويم اعوجاجه ، والأخذ بالحق فيه ، والحذر من الاستكبار عليه ، أو الإعراض عنه ، فهو ما يلي :

أولاً : اقتصار جماعة التبليغ في دعوتها على الدعوة إلى توحيد الربوبية

مع إغفال الدعوة إلى توحيد العبادة المسمى بتوحيد الألوهية وإغفال التحذير مما يناقضه من الشرك . وذلك على الرغم من أن كثيرا من البلدان التي تنتشر فيها الدعوة التبليغية تعاني من الوقوع في شرك العبادة ، بل إن من التبليغيين أنفسهم من يقع في أنواع من الشرك والبدعة خصوصاً في البلدان التي تنتشر فيها الصوفية ، ومع ذلك فإنه ليس في دعوتهم ما ينهأ عنها ، وهذا ولا شك خلل كبير في الدعوة التبليغية فيما يتعلق بالعقيدة ومنهج الدعوة . ولولا أن من دعواتها من العرب خاصة من تلقى العقيدة السلفية عن العلماء السلفيين قبل انتسابهم لجماعة التبليغ لما نجا هؤلاء أيضاً من الوقوع في الشرك كما هو الحال عند إخوانهم من الأعاجم .

إن دعوة الناس إلى الإيمان بوحداية الله في ربوبيته فحسب بأنه تعالى الخالق الرازق المدبر المعطي المانع المحي المميت - وهو ما تقتصر عليه دعوة التبليغيين - دون أن يدعى إلى وحدانيته تعالى في عبادته مع التحذير من الشرك في العبادة

بشئى طرقه وأنواعه ، كأن يدعو المرء غير الله أو يستغيث بغير الله أو يستعيز بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، أو يذبح أو يندز أو يسجد لغير الله ، أو يتقرب لحجر أو لشجر أو لقبر أو لولي أو لنبي بشيء من العبادات أو النذور أو نحوها ، فإن الدعوة حينئذ تكون ناقصة قاصرة عن أهم ما دعى إليه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من لدن نوح إلى محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهو توحيد العبادة المسمى بتوحيد الألوهية الذي هو المعنى الحقيقي لكلمة (لا إله إلا الله) أي : لا معبود بحق إلا الله أو لا مستحق للعبادة إلا الله .

ولما كانت دعوة التبليغيين تدعو الناس إلى توحيد الربوبية ، ولاتدعوهم إلى توحيد الألوهية فإن التبليغي من غير العرب إنما يتقرب إلى الله تعالى في كثير من أحواله بوسائله الشركية ، وطرقه البدعية ، ظناً منه بأنه على كامل الإيمان ، وخالص التوحيد ، وصحيح العبادة . وكذلك فإن من يتوب من العصاة على أيديهم في كثير من بلدان المسلمين إنما يتوب في الغالب عن ترك الصلوات واقتراف بعض المحرمات ، ثم يجتهد بعد ذلك في التوسل بالقبور ، ودعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، وذبح النذور طلباً لإعانتهم وغوئهم ، وغير ذلك من صنوف الشرك وألوان البدعة ، ظناً منهم أنها عبادات مشروعة وقربات متقبلة .

فما الذي فعله هؤلاء الدعاة التبليغيون أكثر من أنهم أخرجوا العصاة مما هم فيه من معاص ، ثم أدخلهم فيما هو أشد من الكبائر وسائر المنكرات وهو الشرك والبدعة .

وليس أدلّ على منهجهم هذا من تفسيرهم لمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، بأنه إخراج اليقين الفاسد من القلب ، وإدخال اليقين على الله بأنه الخالق الرازق ، المعطي المانع ، المحي المميت ، المالك المتصرف . وهذا التفسير هو تفسير صوفي يحصر التوحيد في اليقين بأسماء الله وصفاته دون توحيدة تعالى في عبادته من استعانة واستغاثة وذبح ونذر ودعاء واعتقاد النفع والضرر من غير الله كالأولياء والأضرحة والأنبياء والملائكة وغيرهم ، وهذا النوع من التوحيد في الحقيقة أي توحيد الربوبية هو ما كان عليه مشركو العرب من اعتقاد حين أرسل

إليهم نبينا محمد بأن يعبدوا الله وحده لا شريك ، وطلب منهم أن يقولوا (لا إله إلا الله) أي لا معبود بحق إلا الله فاستنكفوا واستكبروا ، وظلوا على ما هم عليه من الاعتقاد بالربوبية دون الألوهية ، فأنزل الله تعالى فيهم قوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) .

إن دعاة التبليغ في بلاد الهند والباكستان والبنغال - مع الأسف الشديد - يمارسون البدع والشركيات كغيرهم من الصوفية ويدعون إليها ، دون أن يروا في ذلك بأساً ، بل إنهم يعتقدون أنهم إذا بلغوا اليقين في الربوبية فإن ما يخالط عباداتهم من شرك بالأولياء والقبور لا يقدر في توحيدهم وإيمانهم .

فغاية التوحيد عندهم هو توحيد المعرفة ، أي توحيد الربوبية ، فإذا عرف العبد وأيقن بأنه لا خالق إلا الله ولا معطي إلا الله ولا مانع إلا الله ، ولا مالك إلا الله ، ولا محي إلا الله ، ولا مميت إلا الله ، فقد بلغ بذلك غاية التوحيد عندهم فليتقرب بمن شاء وكيف شاء لتحصيل مطلوبه .

وهذا خطأ فادح وشرك صراح من ناحيتي اللغة والاعتقاد ، قد بينه كثير من أئمة أهل السنة والجماعة . إذ أن المعرفة يجب أن تقترب بالعمل وهو العبادة ، فإذا عرف العبد وحدانية الله تعالى في ربوبيته ، فيجب أن يوحد في عبادته فلا يشرك معه غيره ، وإلا لم تنفعه معرفته ، ولم ينفعه يقينه .

فالإله معناه في لغة العرب المألوه : أي المعبود ، وليس معناه الخالق أو القادر على الاختراع ، كما هو مذهب الأشاعرة وسائر أهل الكلام والتصوف . وعلى هذا فمعنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله ، أي : لا مستحق للعبادة إلا

الله فلا سجود ، ولا خضوع ، ولا استغاثة ، ولا استعانة ، ولا ذبح ، ولا نذر ، إلا لله وحده لا شريك له . فمن استعان أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك ، ومن ذبح أو نذر لغير الله فقد أشرك ، ومن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله من حجر أو شجر أو ولي أو نبي أو غير ذلك ، فقد أشرك مع الله غيره ، واتخذة إله مع الله .

ولمزيد البيان نقول بأن العبد قد يكون مشركاً بالله تعالى مع اعتقاده بأن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر المتصرف ، كما هو حال المشركين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذين قال الله فيهم : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) (يونس ٣١-٣٣ " ، فنفى الله عنهم صفة الإيمان مع أنهم مقرّون بأن الله هو الذي يرزقهم وأنه الذي يملك الأسماع والأبصار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر ، فلماذا نفى الله تعالى عنهم الإيمان إذن ؟

الجواب : لأنهم مع هذا الاعتقاد يصرفون شيئاً من عباداتهم لغير الله من الأصنام ونحوها . فلما لم يحققوا توحيد العبادة لم ينفعهم توحيد المعرفة الذي تيقنوه وأقرّوا به ، وإن كانوا يعدون صرفهم العبادة لغير الله تقرباً إلى الله ، وعبودية له ، فيقولون : " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " ، قال تعالى : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) (الزمر ٢-٣ " .

وخلاصة الأمر : أنّ تفسير جماعة التبليغ لكلمة (لا إله إلا الله) هو تفسير المتكلمين وغيرهم من المبتدعة الصوفية، وهو تفسير لا يمنع الناس من الوقوع في الشرك في العبادة فمن قال (لا إله إلا الله) وفهم منها توحيد المعرفة فقط ، فإنه لا

يبالي في عبادته بالشرك ولا البدعة ما دام أنه قد حَقَّق التوحيد - بزعمه - على هذا الفهم القاصر لكلمة (لا إله إلا الله) .

وهذه الحقيقة تفسر لنا ما يقع فيه كثير من المسلمين في بلدان العالم الإسلامي من الشرك عند القبور وغيرها ، ومن الاعتقاد في قدرة الأولياء على تصريف الكون أو جزء من أجزائه ، ومن البدع المتعددة الأشكال والأصناف ، مع وجود علماء ودعاة لا ينكرون هذا عليهم ولا يقولون بأنه شرك أو بدعة ، لاعتقادهم بأن ما يفعله هؤلاء من الشرك في عباداتهم لا يتعلق بمعنى (لا إله إلا الله) الذي هو عندهم قاصر على توحيد المعرفة لا العبادة كما أسلفنا . فهؤلاء عندهم موحدون وإن كانوا يصرفون شيئاً من عباداتهم لغير الله ، ولسان حالهم هو منطوق الآية الكريمة في سورة الزمر : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) " الزمر ٣ "

لذا فإننا نحذر إخواننا الدعاة من جماعة التبليغ من هذا التفسير الخاطئ لكلمة التوحيد ، ونقول لهم : اتقوا الله وحققوا الدعوة إلى الله على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ومذهب السلف الصالح ، فهو النهج القويم والصراط المستقيم ، وادعوا إلى توحيد الله في عبادته ، كما تدعون إلى توحيدته في أفعاله . واعلموا أنكم إن قصرتم دعوتكم على هذا الفهم لكلمة التوحيد ولم تحققوا في دعوتكم توحيد العبادة ، فإنكم لم تؤدوا الأمانة ، ولم تنصحوا للأمة ، وإنما غررتم من اتباعكم وفهم كلمة التوحيد على فهمكم ، والله يرشدنا وإياكم إلى طريق الحق والصواب .

ثانياً : أما موقف جماعة التبليغ من تعلم العلم الشرعي ، فهو موقف

سائر الصوفية ، من حيث تقسيم العلم إلى قسمين : علم الحقيقة ، وهو علم أعمال القلوب ، وفضائل الأعمال ، وعلم الشريعة : وهو علم أحكام العبادات الظاهرة والمعاملات .

والصوفية يرون أن العلم الذي تقوم به حقيقة الدين ، ويوصل إلى معرفة الله تعالى ، وإلى اليقين ، هو علم أعمال القلوب ومقامات الإيمان ، وهو ما يسمونه بعلم الحقيقة ، الذي لا يتوصل به إلى اليقين فحسب ، بل وزيادة على ذلك إلى المكاشفة ،

ثم المعاينة ، ثم الفناء ، ثم إلى الاتحاد ، أو الحلول ، أو بلوغ الحقيقة المطلقة - كما يسمونها - وهي عندهم وحدة الوجود .

أما علم أحكام العبادات الظاهرة والمعاملات الجارية والحدود الشرعية ، فيسمونه علم الشريعة ، أو علم المسائل ، وهو عندهم يقسي القلوب ، ويورث الكبر والجفاء ، ويشغل العابد عن السير في منازل العبادة ، ومقامات الإيمان ، ولا ينبغي أن يتعلمه إلا أفراد قليلون من الأمة يرجع إليهم في الفتوى ومعرفة الأحكام الظاهرة . وأما سائر أهل العلم والدين فينبغي لهم أن يبتعدوا عن علم الشريعة والأحكام ، ويحذروا من خطره على قلوبهم ، وذوقهم ، وصفاء نفوسهم ومواجهتهم ، ويقصروا معرفتهم على علم أعمال القلوب وأحوالها ، ومراتب السير في المقامات ، والطرق الموصلة إليها .

وجماعة التبليغ تدين بهذا المذهب الصوفي في تقسيم العلم ، إلا أنهم يسمون القسم الأول منه : علم فضائل الأعمال ، والثاني : علم المسائل والأحكام . ويحثون أتباعهم على تعلم فضائل الأعمال ، ويحذرونهم من علم المسائل ، وأنه لا حاجة إليه إلا للقليل من الناس أهل الفتوى . ويصفون من تعلمه بالكبر والجفاء ، كما هو الحال عند سائر الصوفية .

وهذا التقسيم الصوفي للعلم ، قد أراح كثيراً من الدعاة التبليغيين من مشقة تعلم العلم الشرعي ، ولو أبسط المسائل وأقرب الأحكام ، وأعطى العوام والجهال منهم الثقة في أنهم يمكن أن يكونوا دعاة كباراً ، يجوبون الأرض ، ويدعون الناس ، مع عدم الحاجة إلى العلم الشرعي ، فيكفي دعوة الناس إلى الإيمان والعبادة إجمالاً دون تفصيل ، وكل من يستجيب لدعوتهم ويلتزم بالدين والعبادة ، فعليه أن يتعلم ذلك ممن حوله من الناس وعلى المذهب الذي يختاره ، أما الدعاة التبليغيون فلا علم لهم يعلمونه ، ولا فتوى عندهم يجيبون بها على سائلهم ، بل إن تعلم العلم الشرعي عندهم يشغل عن الدعوة وعن العبادة ، فليبق الداعية التبليغي عامياً من أجل تفرغ أوقاته للدعوة والعبادة ، ويكفيه ما يتلقاه في بيانات المشايخ التبليغيين من مواظ وعبارات مكررة ، تلوكها الجماعة في جميع مواظهم وبياناتهم ، ويحفظها

مبتدؤهم عن سبقه منهم ، وسيجد التبليغي الجاهل حتماً من هو أجهل منه من المسلمين فليمل عليه من محفوظه من عبارات المشايخ ومواعظهم حتى يصبح مثله في حفظ العبارات الدعوية والبيانات الوعظية التبليغية وهكذا دواليك .

ويحتج التبليغيون بعدم حاجة الدعاة إلى تعلم العلم الشرعي ، بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : "بلغوني ولو آية" . وبحال الصحابة رضي الله عنهم في دعوتهم الناس في مبدأ الدعوة إلى الإسلام . وبمجيء بعض الأعراب من البادية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيسلمون ثم يأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بإبلاغ قومهم ، دون أن يكون لهم حظ من العلم إلا الشهادتين وبعض الفرائض .

وهذه الحجج ليس فيها دليل واحد على صحة ما عليه التبليغيون من جهل ، ومن خصومة للعلم الشرعي وأهله .

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "بلغوني ولو آية" دليل على أن من تعلم علماً قليلاً كان أو كثيراً فعليه أن يبلغه إلى من هو بحاجة إلى تعلمه أداءً للأمانة ، وإبلاغاً للدين . وفيه حث على التعلم وعلى إبلاغ العلم ولو آية . وليس من معناه ألا يتعلم المسلم من العلم إلا آية ، أو أن يتقّل من العلم . وليس من معناه أن من ليس لديه علم إلا آية أو ما في حكمها أن له أن يتصدر لدعوة الناس ، أو ينصب نفسه في مقام الداعية . وإنما المعنى إبلاغ ما لديه من العلم مهما قلّ ، وهذا لكل مسلم .

أما من تصدر للدعوة ، وخرج إلى الناس يبلغهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من دين الله ، فلا بد أن يؤهل نفسه لذلك بما ينبغي لمثله من الدعاة والمقتدى بهم ، وهذا مما يعلم بالضرورة .

وأما دعوة الصحابة رضي الله عنهم في مبدأ الدعوة فكانت إبلاغاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من الوحي في تلك الفترة ، ولم يكن كثير من تفاصيل الشريعة قد نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول مراحل الدعوة بعد .

وأما من يسلم من الأعراب ويعود إلى قومه داعياً إلى الله ، فإنما كان ذلك لأن الرجل منهم يعود إلى قومه ناصحاً وموجهاً لهم ، وغالباً ما يكون ذلك ممن له السيادة والريادة في قومه ، فيعود إليهم ليحثهم على الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلم الدين منه . وهنا فرق شاسع بين هذه الحال وبين ما عليه جماعة التبليغ من الخروج إلى الناس على أنهم دعاة إلى الله ، ومبلغين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، ولهم في ذلك منهج وطريقة يوجهون الناس إليها ، ويحثونهم على التزامها وعدم مفارقتها ، ومع ذلك فليس عندهم من العلم ما يجيبون به على أدنى تساؤل من المدعويين ، ولا ما يفرقون به بين ما هو حق وما هو باطل في كثير من الأحوال والمسائل .

والرسول عندما وجه بعض أصحابه للدعوة في القبائل إنما وجه أهل العلم والقرآن منهم لمهمة الدعوة، كعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، والقراء أصحاب بئر معونة وأصحاب ماء الرجيع ، ولم يرسل داعية واحداً من غير أهل العلم والقرآن إلا من يأتيه مندوباً عن قومه فيأمره بالعودة إليهم وإبلاغهم عما رآه من حال الرسول وأصحابه وما علمه عن دين الإسلام ليحثهم على الهجرة إلى رسول الله للإسلام والعلم والجهاد .

وللأسف فإن موقف جماعة التبليغ من العلم الشرعي لم يقتصر على الإعراض عنه بل اتخذ موقف الخصومة والازدراء له ، والوقوف من العلماء والفقهاء موقف النفور والجفاء ، وإن كان التبليغيون يتكلمون بما ليس عليه حالهم من تقدير العلماء ، وعدم مجادلتهم أو التصدر بين يديهم ، فهم إنما يفعلون ذلك لأن بضاعتهم مزجاة ، ولو جادلوا أحداً من أهل العلم لا فتضحوا ، فهذا ليس تواضعاً منهم وإنما هو تقيّة ، وعجز .

وأولى بإخواننا الدعاة التبليغيين إن كانوا هم يأبون أن يتأهلوا للدعوة بتعلم العلم الشرعي ، فلا أقل من أن يدعوا التزهيد فيه وصرف الناس عنه وادعاء أنه يفضي إلى التكبر وقساوة القلوب والانشغال عن الدعوة إلى الله ونحو ذلك من الدعاوى الباطلة .

ثالثاً : من أصول جماعة التبليغ الثابتة عندهم عدم إنكار المنكر ، وهم

يعدون الإنكار من أعظم العوائق للدعوة إلى الله ، وأنه سبب لتغيير الناس عن الدين ، وأنه منافع للحكمة ، وللسماحة ، وحسن الخلق .

ويكثر في بياناتهم ومواعظهم التأكيد على عدم ذكر عيوب الأمة ، والمقصود بها المنكرات والبدع ، والشركيات ، مدعين بأن ذكرها والتشنيع عليها يزيد من انتشارها وشيوعها بين الناس . فالسكوت عنها وعدم إنكارها أولى عندهم ، وإنما يكتفى بدعوة أصحابها إلى الخروج مع الجماعة ثلاثة أيام أو أربعين يوماً أو أربعة أشهر ، فإذا ابتعدوا عن تلك المنكرات مدة الخروج هذا وتغيرت أحوالهم فهذا يكفي ، وإن كانوا يعودون إلى أقوامهم بعد ذلك دون أن ينكروا شيئاً من المنكرات التي هم عليها ، بل يكتفوا بدعوتهم إلى الخروج مع الجماعة في سبيل الله أي للدعوة .

ونحن نسأل الدعاة التبليغيين : كم نسبة هؤلاء الذين يخرجون معكم وتتغير أحوالهم ويتركون ما هم عليه من المنكرات بالنسبة إلى قرية أو مدينة أو بلدة كاملة؟ لاشك إنها نسبة ضئيلة جداً مهما بالغ في تضخيمها الدعاة التبليغيون .

فهل تظل المنكرات قائمة لا ينكرها أحد مع ازديادها وتوسعها ، حتى يخرج جميع أهل البلدة مع جماعة التبليغ ، ويهتدون جميعهم ، فتزول بذلك المنكرات؟!!

فإن قال قائلهم : هل إذا أنكرت المنكرات تزول جميعها؟

فالجواب : هو أنه من المعلوم المشاهد أنه إذا قامت أمة من الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلد ما ، فإنها تقل المنكرات ، ويذل أهلها ، ويتخفى المصريون منهم بها عن أعين الناس في الغالب ، فيسلم منها عامة المسلمين ، وخاصة شبابهم ومن يخشى عليه الانجذاب إليها . وإنه ليظهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سلطان الدين ، وتعلو دولة الفضيلة ، ويعم الأمن ، ويكثر الخير ، وتحل البركة في أهل ذلك البلد . وكفى بذلك فضيلة وأهمية لقيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات .

ثم أليس من أمانة الدعوة إلى الله - أيها الداعية - إذا شاهدت أحداً من الناس أو جماعة أو أهل بلدة على منكر أو بدعة ، أو شرك ، أن تبلغهم حكم الله في ذلك الأمر الذي هم عليه ، قدر إمكانك وطاقتك؟

فما ظنك بحال من يموت منهم وهو على شركه أو بدعته أو فسوقه وقد رأيتَه ووقفت على حاله دون أن تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإبلاغه بحكم الله فيه الذي هو بالنسبة لك فرض عين لا يحل لك تركه ؟

ألا تخشى أن يكون من حجته عند الله يوم الحساب أنك وجدته يوماً ما على ما كان عليه ، ولم تحذره منه ، ولم تبلغه حكم الله فيه ، وأنت قد ادعيت له أنك داعية إلى الله ، مبلغاً عن رسوله صلى الله عليه وسلم؟

هذا وإن الآيات من كتاب الله والأحاديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم أهميته كثيرة معلومة ، يقول الله تعالى في محكم آياته : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) " آل عمران ١١٠ " ، فجعل سبحانه خيرية هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم بسبب ما وكل إليها من وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكفى بذلك شرفاً .

وقال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) " آل عمران ١٠٤ " ، فأمر سبحانه بالدعوة على وجه العموم ، وخصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالذكر لوجوبه في الدعوة وأهميته فيها .

وقد استحق بنو إسرائيل من الله تعالى اللعن على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام بسبب عصيان بعضهم واعتدائه على حرّامات الله ، وسكوت بعضهم الآخر ، فلم ينه أولئك العصاة عن المنكر الذي فعلوه ، أو أنه نهاهم ثم سكت عنهم وواكلهم وشاربهم وجالسهم وهم على ما هم عليه من الإقامة على المنكرات ، كما جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل

فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض" ، ثم قال : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم) إلى قوله : (فاسقون) " المائدة ٧٨ - ٨١ " ، ثم قال : "كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، أو تقصرنه على الحق قصراً" .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان" . فهذا الحديث نصٌّ في أن التغيير يكون لعين المنكر ، وما يجادل به الدعاة التبليغيون في أنهم إذا دعوا الناس إلى الخروج معهم ، فخرج معهم أفراداً ، ثم ترك هؤلاء الأفراد المنكرات ، فإنه لا حاجة إلى إنكار تلك المنكرات في ذلك البلد ، فهذا من أبطل الباطل لكون الله تعالى أمر بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كليهما في آية واحدة ، فقال تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) " آل عمران ١٠٤ "

ولنسأل الدعاة التبليغيين ، هل مراد الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق هو ما يدعونه من مجرد الخروج مع الجماعة ؟ أو أن مراده صلى الله عليه وسلم أن يقوم الرجل إلى أصحاب المنكر فينهاهم عنه إما بسلطانه وقوته ، أو بلسانه ودعوته ، أو ببغضه وإظهار كراهيته وعدم الرضى به؟

فإن كان هذا هو المراد فلماذا يصف التبليغيون إنكار المنكر بأنه ليس من الحكمة؟ ويعدونه من معوقات الدعوة؟ أليست هذه الدعوى التبليغية هي ذات الفلسفة التي درجت عليها الصوفية وعرفت بها في موقفها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكراهيته واعتباره مناف للحكمة، أو أنه دليل على الجهل بالأسرار الغيبية ، وهي فلسفة بعيدة عن الحقيقة الشرعية ، مخالفة للنصوص القرآنية ، مناقضة للسنة النبوية .

إن فعلى إخواننا من جماعة التبليغ أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنة نبينهم فيتدبروا الآيات المحكمة ويتأملوا الأحاديث البينة، فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينظروا إلى السيرة النبوية العطرة في ذلك، وليعضوا عليها بالنواجذ ، مع نبذ الفلسفة الصوفية التي تدعي الحكمة والرحمة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أبعد ما تكون عن الحكمة والرحمة التي أرسل بها خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

رابعاً : وأما الجهاد في سبيل الله فموقف التبليغيين منه الإنكار الشديد

والبغض الأكيد ، فهو عندهم إزهاق للأرواح ، وسبب في دخول الكفار المساكين نار جهنم ، بخلاف الدعوة التي هي إنقاذ للأرواح ، وسبب في هداية الناس ودخولهم في رحمة الله وجنته ، وهذا أصل من أصولهم ، وإن كان دعائهم من العرب بسبب ما تلقوه قبل التحاقهم بالتبليغ من علوم شرعية لا يرون ذلك ولا يقرون به ، إلا أن أصول هذه الدعوة شيء والتزام بعض دعائها بها أو عدم التزامهم شيء آخر .

والتبليغيون يصرفون معنى الجهاد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معنى الدعوة ، ويؤولونه بذلك . وهم لا يتكلمون عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين عند ذكر سيرته إلا نادراً وفي مواطن الرحمة والعفو لا في مواطن القتال والمواجهة ، ولا يستشهدون بما ورد في ذلك من الآيات ، بل يتجاوزون ذلك كله هرباً مما ينقض أصولهم الصوفية من سيرته في قتال المشركين والغلظة عليهم . وليسوا بذلك منكرين لجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مكذبين بالأدلة والشواهد عليه من الكتاب والسنة، ولكنهم لا يرونه سائغاً للدعوة، و نشر الدين، بل يرون أن التبليغ والدعوة هو السبيل الوحيد السائغ لنشر الدين، وفي هذا انحراف واضح في العقيدة ، وفهم قاصر لأصول الدين .

وأكثر التبليغيين يحدون عن الكلام في هذا الجانب ، ويسكتون عنه ، ويتشاغلون بالحديث عن الدعوة والتبليغ وفضائلها ، وحاجة الناس إليها ، هرباً من الحديث عنه ، لأنه مناف لأصولهم الصوفية التي قامت عليها دعوتهم .

ومن الدلائل البينة على إعراض جماعة التبليغ عن الجهاد ، ونفورها منه ، وعقيدتها فيه ، أن هذه الجماعة لم يعرف لها أية مشاركة منذ نشأتها في الجهاد القائم في أنحاء العالم الإسلامي ، مع تواجد دعواتهم في أرجاء البلدان الإسلامية ، التي تدور فيها رحى الجهاد مع أعداء الله الكافرين .

فالجهاد عندهم منافٍ للرحمة والشفقة ، ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى :
(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) " الأنبياء ١٠٧ " فعدوان الكفار والمستعمرين على المسلمين هو عندهم كما هو عند سائر الصوفية من باب قدر الله الذي لا يجوز دفعه ، ولا التبرم به ، بل ينبغي الرضا والتسليم به ، خصوصاً أن الكافرين المعتدين على ديار الإسلام ، يعاملون من لم يجاهدهم ، ولم يصددهم عما جاءوا له ، معاملة طيبة ، ولا يتعرضون لعبادته التي يشتغل بها عنهم . وهذه فرصة سانحة للتقرب إليهم ودعوتهم ، فنكون بذلك سبباً في إنقاذهم من النار ، فالدعوة تكفي عن جهادهم وصددهم بالقوة والقتال ، لأنها - كما يعتقد التبليغيون - سبب في إسلامهم ودخولهم الجنة بينما قتلهم في الجهاد سبب في دخولهم النار .

إن هذه العقيدة الصوفية المنحرفة قد جرّت على بلاد الإسلام الويلات والمصائب ، فساد بسببها الجهل ، والتخاذل ، وشاعت بها الخرافات والأوهام والشعوذات . وإن التاريخ ليشهد أنه ماصدّ أعداء الله ، وما زاد عن حمى الإسلام ، وما أخرج المعتدين المستعمرين من أرضه إلاّ كتائب الجهاد في سبيل الله ، الذي هو ذروة سنام الإسلام ، ومناط عزّه وتمكينه .

لذا فإننا ننصح إخواننا الدعاة من جماعة التبليغ ، ألاّ يُخذلوا عن الجهاد في سبيل الله بإشاعة هذه العقيدة الفاسدة ونشرها . ونذكرهم بأنه لا تناقض ولا تضاد بين الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ، فكلاهما من دين الله ، ومن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لكل منهما مناسبتة ومقتضاه . فلا يجوز الإيمان

ببعض الكتاب والإعراض عن بعضه الآخر . فهذا فعل اليهود الذي ذكره الله في كتابه وذمهم عليه ، وأما أهل الإسلام فإنهم يؤمنون بالكتاب كله ، ويعملون به على قدر الطاقة والوسع ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

خامساً : حصر جماعة التبليغ للدعوة فيما يسمونه بـ (الصفات الستة)

وهي بحسب عبارتهم :

١- الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) .

ومعناها عندهم : اليقين على الله بأنه الخالق الرازق المدبر المحيي المميت المعطي المانع .

ويلاحظ : ١- أنهم يفسرون الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) تفسيراً صوفياً ، فيجعلون معناها محصوراً في اليقين بأسماء الله وصفاته وهذا يعني حصرهم لمعناها في توحيد الربوبية ، أما توحيد الألوهية (العبودية) فلا يدخل عندهم في معناها إلا بالتضمن ، لما لديهم في العبادة من تعلق بالأولياء وقبورهم والتوسل بهم والذبح والنذر لهم وغير ذلك مما ينافي معنى توحيد العبادة المسمى بتوحيد الألوهية ، ويدخلهم حسب معناه السلفي في دائرة الشرك والبدعة .

ب- ومما يلاحظ كذلك أنهم لا يضمنون إليها شهادة أن محمداً رسول الله عند ذكرها في الصفات الستة ، ولعل ذلك بسبب ما يجره تفسيرهم الصوفي الديوبندي لها من خلاف مع البريولية في دول الهند ومع السلفية في دول العرب ، وذلك لغلو البريولية في رسول الله بما يقرب من تأليهه، والتبليغيون على مذهبهم الديوبندي أقل غلواً في شأن الرسول منهم .

ولما بينهم وبين السلفية من خلاف في تفسيرها فالسلفيون يجعلون معناها الاتباع والتمسك بالسنة ونبذ البدعة ، والتبليغيون يجعلون معناها بالدرجة الأولى المحبة ، كما إن لديهم من البدع ما يخالف المعنى السلفي لهذه الكلمة ، فلم يضموها إلى كلمة (لا إله إلا الله) في الصفات الستة ، وإن كانوا يعتنون بالشهادتين حتماً أشد العناية ، ولكن منهجهم في تجنب الخلاف وما لديهم من تقية عملية دفعتهم إلى هذا المسلك الانتقائي .

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض التبليغيين من العرب أنشأ موقعاً إلكترونياً يشرح فيه الصفات الستة محاولاً الجمع بين التفسير السلفي للشهادتين وبين التفسير التبليغي ، فأورد في معنى (لا إله إلا الله) لا معبود بحق إلا الله ، وأورد الشهادتين معاً في الصفات ، وقد راعى أيضاً التفسير التبليغي لها وهو أن معناها : كيف نكون في حياتنا كما كان الرسول في عبادته وأخلاقه وسيرته ، وهذا المعنى المجمل يوجه إلى السنن العملية فحسب دون التأكيد على عدم مخالفة أي شيء من هدي الرسول وسنته، كما إنه لا يوجه إلى أن من معناها ترك البدعة في الدين وتجنبها .

٢- الصلاة ذات الخشوع والخضوع : وهذه ثمانية الصفات الست على ترتيب

التبليغيين . ويؤكدون عند ذكرها أنها الوسيلة التي تستجلب بها النعم ، وتفرج بها الكربات ، وتستمطر بها الرحمات . وهذا صحيح لا شك فيه .

ومن الملاحظ أنهم لا يتدارسون فيما بينهم من العقيدة إلا توحيد الربوبية ، ولا يتدارسون من العبادة إلا الصلاة ، ولعل ذلك لأنهم رأوا أن التوحيد أساس العقيدة وأن الصلاة أساس العبادات ، فقصروا دعوتهم عليهما دون غيرهما من العقيدة والعبادة .

ومن العجيب أن الجماعة التبليغية تترك لأتباعها بعد ذلك أخذ سائر معتقداتهم وأحكام عباداتهم من مذاهبهم المحلية على اختلافها في العقيدة والعبادة ، فالتبليغيون منهم الصوفيون ومنهم السلفيون ومنهم غير ذلك فيترك لهم الاستزادة على تعاليم الجماعة من مشاربهم المختلفة ، ولكنهم مع ذلك يشتركون جميعاً في عقيدة تبليغية واحدة قوامها دعوة التبليغ المنتقاة بعناية من العقيدة الصوفية الديوبندية .

٣- العلم مع الذكر : قد سبق أن العلم عند جماعة التبليغ على قسمين :

١- علم الفضائل : وهو علم أعمال القلوب ، وفضائل الأعمال . وهو ما يسمى عند الصوفية علم الحقيقة .

وجماعة التبليغ تحث أتباعها على مدارس فضائل الأعمال ، ومعرفة أحوال القلوب وأعمالها ، لأنه يورث التواضع ويرغب في العبادة والذكر . وأن هذا هو

العلم الموصل إلى اليقين الذي به تتحقق المعرفة بالأسماء والصفات ، وهذا الحد هو القدر المقبول من العقيدة الصوفية التي لا تقف في الحقيقة عند هذا الحد ، بل تتجاوز اليقين إلى مطالب الكشف والمعاناة والفناء وغيرها . فكأن الجماعة توقف أتباعها على أعتاب التصوف ، ولا تجرؤ على دعوتهم لولوج أبوابه وأسراره الخفية الخرافية .

ب- علم المسائل : وهو أحكام العبادات والمعاملات والحدود ، والجماعة تحذر أتباعها من هذا العلم ، لأنه عندهم يورث الكبر وقساوة القلب والانشغال عن الدعوة والعبادة . وليس كل أحد يحتاج إليه ، فإذا وجد في الأمة أفراد يرجع إليهم في الفتوى ومعرفة الأحكام فهذا عند التبليغيين كافٍ ولا حاجة لكثرة المفتين .

ومن الواضح أن هذا التقسيم هو التقسيم الصوفي المعروف للعلم ، حيث يقسمونه إلى ١- علم الحقيقة : وهو علم أعمال القلوب ومقامات السلوك ، ٢- علم الشريعة : وهو علم المسائل والأحكام . والأول هو علم الخاصة وخاصة الخاصة أهل الحقيقة ، والثاني هو علم العامة وأهل الظاهر أهل الشريعة .

٤- إكرام المسلمين : أي التلطف بهم في الدعوة ، والرفق وحسن الخلق معهم في المعاملة . وخصوا المسلمين بالإكرام لأن دعوتهم جعلت هدفها الأول دعوة المسلمين للرجوع إلى دينهم ، وكذلك لأن الإكرام سبب في شيوع المحبة والألفة فيما بينهم .

ولا ننسى أن في إكرام المسلمين معنى آخر تريد جماعة التبليغ تأصيله ، وهو عدم النفرة ممن يكون منهم على بدعة أو انحراف عقدي ، وعدم تعنيفه بسبب ذلك ، كما هو الحال من الدعاة السلفيين الذين ينفرون من أهل البدع والانحرافات العقدية وربما جفوههم وتنقصوهم ، فيجب على التبليغيين مراعاة كون هذا المخالف مسلماً ويكرمونه لإسلامه ولو كان مبتدعاً أو متلبساً بانحراف أو ما يوصف بالشرك .

٥- الإخلاص وتصحيح النية : فالإخلاص لله سبحانه وتعالى فيما يقوم به الداعية من جهد في دعوته أساس في قبول عمله وانتشار دعوته وتأثر الناس به . وهذا حق لا ريب فيه .

٦- الدعوة إلى الله والخروج في سبيل الله : والمقصود بالخروج أي انتقال الداعية ومن يصاحبه من المدعويين من بلدهم وبيئتهم التي يمارسون فيها حياتهم اليومية ، والتي تكون فيها دواعي الغفلة وانشغال القلب والبدن بالدنيا أو المعاصي ، في سفر طويل أو قصير ، إلى بيئة يتفرغ فيها الخارج في سبيل الله للدعوة والعبادة أياماً أو شهوراً أو سنين .

وقد حدوا لهذا الخروج أزماناً تعارفوا عليها من باب الترتيب وتحصيل الفائدة والمقصود ، فحدوا لذلك ثلاثة أيام ، أو أربعين يوماً ، أو أربعة أشهر . أو أكثر من ذلك . وبعضهم يقضي في خروجه للدعوة والتبليغ سنين عدداً .

وقد أنكر عليهم بعض العلماء والدعاة تحديد الأوقات بهذه الطريقة ، ولكن من العلماء والدعاة من رأى بأن التحديد لغرض تنظيم الجهود وحصول الفائدة والمقصود من الخروج هذا لا غبار عليه ، ولا يزال الناس يحددون الأوقات في التعليم والإدارة والتجارة من غير نكير .

ولكن يؤخذ على التبليغيين أنهم يعدون الخروج للدعوة يقوم مقام الخروج للجهاد في سبيل الله ويغني عنه ، ولذلك فهم يستشهدون بالآيات والأحاديث التي تنص على الجهاد في سبيل الله على أنه خروجهم هذا للدعوة . وهذه لوثة صوفية ظاهرة في سلوك جماعة التبليغ من حيث موقفهم من الجهاد في سبيل الله ، فهم كغيرهم من الصوفية يرون القتال في سبيل الله إزهاق للأرواح وأنه منافٍ للرحمة التي أرسل بها رسول الله ، ويزيد التبليغيون أن هذه الأرواح التي أزهدت بالقتال كان من الممكن أن تدخل في دين الله وتحيا بالدعوة ، وهذا خلط في الاعتقاد وجهل بمسائل القدر وأحكام الشرع خطير . وقد سبق تفصيل معتقد جماعة التبليغ في الجهاد في سبيل الله عند ذكر موقفهم منه .

سادساً : ومما يؤخذ على جماعة التبليغ في دعوتهم أخذهم

بالتقية وعملهم بها ، ففيهم من هذا الجانب شبه بالشيعة ، إلا أنهم لا يعدون التقية عقيدة شرعية ، وإنما يرونها سياسة وحكمة . ومحصلة الأمر أنها أتاحت لهم التنصل من أي قول أو فعل يدينهم ، فمن السهل على أي تبليغي أن ينفي كل ما جاء

عنهم في هذه النصيحة مثلاً ، وأن يؤكد لك بكل المؤكدات أنهم من أحرص الناس على العلم ، أو إنكار المنكر ، أو الجهاد ، أو غير ذلك مما هو ثابت في أصولهم ومنهجهم .

وقد أتاحت لهم - التقيّة - أن تظل دعوتهم في حالة هلامية أو قل زئبقية تتلمص من أية إدانة ، وتتماشى مع كل بيئة ، ومذهبية . ولا أدل على ذلك من أن المنهج التبليغي بما فيه من مضامين عقدية ودعوية في بلاد الهند والبنجال والباكستان وما جاورها يختلف عن المنهج التبليغي والعقدي والدعوي في بلاد العرب وما شاكلها . فدعاتهم في الهند والباكستان والبنجال يتلقون المعتقدات الصوفية ويدعون إليها من خلال التزامهم ودعوتهم للطرق الصوفية الأربع الجشئية والقادرية والسهروردية والنقشبندية . ودعاتهم من العرب يتلقون من الصوفية ما لا يصادم العقيدة السلفية المنتشرة في بلادهم بشكل صريح ، ولكنها تأخذهم قليلاً أو كثيراً بعيداً عن السلفية ، وبالتالي فإن ارتباط التبليغي بعلماء بلده يضعف تدريجياً بينما يقوى ارتباطه بمشايع التبليغ و كذلك احترامه لهم والأخذ عنهم حتى يكونوا له مصدراً للتلقي ومرجعاً للفتوى .

وما كان لجماعة التبليغ أن تصل هذه الدرجة من القدرة على الانغماس في المجتمعات المختلفة المشارب والمعتقدات واستدراج الدعاة فيها والعوام ليكونوا من أتباعها ، لولا القدرة على المراوغة والزئبقية التي تتمتع بها بسبب التقيّة العملية التي تمارسها ، فتتيح لها المرونة والمسايرة لمختلف التوجهات والمشارب المتعددة ، حتى تستخرج لها أتباعاً ومريدين يصيرون بعد ذلك دعاة مخلصين لمنهجهم التبليغي ومشايعهم التبليغيين.

وعلى هذا فقد أتاحت التقيّة العملية لجماعة التبليغ اختراق الحواجز العقدية للمذاهب الأخرى ، والتسلل إلى أتباع تلك المذاهب مما أدى إلى انتشار دعوتهم في جميع الأقطار ، وبين أتباع المذاهب والعقائد المختلفة .

ومن العجيب أنه بسبب هذه التقيّة التي يطبقونها عملياً ، نجد أن كثيراً من أتباعهم ودعاتهم لا يعرفون شيئاً عن أصول دعوتهم ، ولا عن مؤسسيها ، ولا عن

مصادرها ، ولا عن أهدافها وغاياتها الحقيقية . إنهم مخلصون متفانون لشيء واحد وهو الدعوة إلى مجمل الإيمان ، وإلى الرجوع إلى الله من الغفلة والعصيان ، أما أصول دعوتهم ومذاهب علمائها ومؤسسيها فقلما تجد تبليغياً يعرف شيئاً من ذلك خصوصاً أتباعهم من العرب والأجانب ؛ أي غير الهنود والباكستان والبنغال . وعندما يتساءل أحد هؤلاء الدعاة عن شيء من ذلك فإن الإجابات المموهة بالتعميمات تكفي لإسكات هذا السائل خصوصاً إن من أصولهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" ، فهم قد جعلوه أصلاً في دعوتهم حتى يحتجوا خلفه عن المساءلات والاستفسارات التي قد يجابهم بها بعض أتباعهم الأجانب .

ومما سهّل على مشايخ التبليغ التمويه والتعمية على أتباعهم أن عمّة هؤلاء الأتباع من عوام الناس الذين لا يعينهم البحث والاستقصاء ، ويكفيهم ما تلقنوه من أصول الدعوة وصفاتها الستة ، فهي عندهم علم كافٍ مكّنهم من أن يكونوا دعاة يجوبون الأرض بدعوتهم ، فقتنوا بهذه الصفات الستة واستغنوا بها عما سواها ، وما عليهم بعد ذلك من أين جاء هذا العلم؟ ومن هم رواته؟

ومما زاد التبليغيين تعلّقاً بدعوتهم وطريقتهم ، واعتقاداً بصحتها وتفرداً بالحق في نظرهم ، ما يرونه من توبة كثير من العصاة ، وعودتهم إلى الله ، بل وتحولهم إلى دعاة ومرشدين ، بسبب دعوتهم لهم .

وهذا في الحقيقة ليس دليلاً على صحّة المضمون وشرعيّته ، بل هو دليل على جودة الأسلوب وجاذبيّته فحسب .

ومن التقية التي يعمل بها التبليغيون ، أنهم جعلوا من أصول دعوتهم أن لا تكون الكتابة من وسائلها ، أعني تأليف الكتب ، أو كتابة المقالات عنها ، ومن يفعل ذلك منهم فإنما هو مخالف للأصول التبليغية التي قامت عليها الجماعة ، فليس من مشايخهم ولا من كبار دعائهم من يفعل ذلك إلا نادراً . وسبب ذلك أن في الكتابة إلزاماً لهم بما يكتبون عن دعوتهم ، وإثباتاً لأصولها ، وتحديداً لمعالمها ، وهذا ينافي سياستهم في التغيير والتبديل والتملص والتوقي ، لذلك لا يرون الكتابة عن

دعوتهم أبدأ ، ولا يحبون ذلك ، بل يnehون عنه ، ويعدون مخالفأ لأصولهم ومنهجهم.

وكل من كتب عن التبليغ أو دافع عنها فإنه إما أن يكون من خارج الجماعة ، أو ممن تعرف عليها وراقه ما عرفه عنها ، ولكنه حتماً ليس من المحسوبين عليها ، فضلاً عن أن يكون من مشايخها ودعاتها .

وعلى كلِّ فإن بين التصوف والتشيع اشتراكاً في أمور يجمع بينها عناية الطرفين بعبادة الباطن ، ومحاولة التستر على ما عندهم من انحرافات عند التعامل مع غيرهم في عباداتهم الظاهرة . والتقية عامل مهم في الجمع بين الأمرين . إلا أن الشيعة يبالغون فيها ، ويجعلونها معتقداً شرعياً ، وأما الصوفية فهي عندهم وسيلة للتوقي من علماء الظاهر الذين ليس لهم معرفة بالحقائق . وفي خاتمة هذا المقال :

لا بدّ من التذكير بأن أتباع هذه الجماعة ودعاتها ليسوا في الالتزام بأصولها ، والقناعة بعقائدها على حدّ سواء . فمنهم من يدرك الأخطاء والعيوب في هذه الجماعة أو بعضها ، ولكنه متعلق بخصلة من خصالها ، مأخوذ بمأثرة من مآثرها ، فيتغاضى عن السيئات ، حرصاً منه على ما يعتقد من حسناتها ، ويخشى أن لا يجد في غيرها ما يجد فيها مما تعلق به وحرص عليه .

ومنهم من يدين لها بالجميل والعرفان ، فلعلها كانت سبباً في هدايته ، وبعده عن المعاصي ، فقد كان مشرفاً على الهلاك لولا أن الله أنقذه بها ، وهذا في كثير من دعاتها ، ذلك لأن المرء يتحول في هذه الجماعة دفعة واحدة من مرتكب للمعاصي والمنكرات إلى داعية من كبار الدعاة ، فليس من شروطها العلم للدعاة ، بل يكفي الإيمان وأداء الصلاة ليكون المرء داعية مبلغاً ، وهذا يجعل الداعية من هذا النوع مرتبباً بها ارتبباً وثيقاً ، ولا يلتفت إلى شيء من عيوبها ، وذلك لأسباب عدّة :

أولها : جهله بهذه العيوب .

وثانيها : شعوره بأنه مدين لها ، فليس من الوفاء أن يتركها إلى غيرها ، أو أن يقف منها موقف الناقد لها المحمص لعيوبها .

وثالثها : أن غيرها من المناهج قد يجشمه مشقة تعلم العلم الشرعي الذي يقتضيه عمل الداعية ، أو أنه قد لا يمكنه من الرحلات الدعوية التي تهيؤها له جماعة التبليغ في أقطار شتى .

ومنهم من يبدأ منتقداً لها ، معترضاً على كثيرٍ من أصولها ووسائلها ، ثم لا يلبث بعد خروج أربعين يوماً ، أو أربعة أشهر ، أو نحو ذلك ، أن ينصهر فيها ، ويزوب في رحلاتها المتكررة ، فينسى كل عيب كان يذكره فيها ، بل الأعجب من ذلك أن يجد لهذه العيوب ما يبررها ، فإذا به من أشدّ المدافعين عنها ، المقتنعين بأنها فضائل وحسنات ، ولكن الناس بجهلهم يحسبونها معائب وسيئات ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

وأخيراً فإننا نسأل الله تعالى أن يلهمنا وإخواننا الدعاة من جماعة التبليغ الحق والصواب ، وأن يرشدنا وإياهم إلى السنة وهدى الكتاب ، وأن يجعلنا وإياهم هداة مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

النصحة الثالثة :

النسمة الندية
في
نصحة دعاة السلفية

المقالة الأولى :

التعريف بالسلفية وأسباب ضعفها اليوم :

السلفية منهج يقوم على المحافظة على روح الإسلام وحقيقته ، كما يحافظ على صورته وطريقته ، كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغه عن ربه ، وعمل به أصحابه من بعده ، وحافظ عليه أئمة الهدى ومصايح الدّجى من التابعين وتابعيهم ، ثم من بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة وعامتها إلى يومنا هذا ويسمى هذا المذهب مذهب أهل السنة والجماعة ، كما يسمى مذهب أهل الحديث ، أو أهل الأثر ، وهو يعرف اليوم بالسلفية .
ومعالم مذهب أهل السنة والجماعة أو أهل الحديث أو السلفية بارزة ظاهرة ، وطريقته بيّنة واضحة ، ومن أهم معالمه :

١- تقديم الدعوة إلى التوحيد والسنة على غيرهما ، فأعظم ما يعنى به الدعوة السلفيون تصحيح العقيدة لدى المدعوين ، وأول ما يدعون إليه من العقيدة نبذ الشرك والبدعة ، وتحقيق التوحيد والسنة ، وهكذا كانت دعوة الرسل من لدن نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام .

- ٢- تعظيم الكتاب والسنة ، والتقيد بنصوصهما ، وعدم معارضتهما برأي أو تأويل ، والتقيد فيهما بفهم السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ، وأئمة التابعين وتابعيهم من القرون الثلاثة الأولى المفضلة .
- ٣- تقديم النص الصحيح الصريح على الرأي والعقل ، فلا رأي مع النص ، وتقديم أقوال السلف على أقوال الخلف ، لقربهم من صفاء الإسلام وجوهره ، ولبعدهم عن التكلف ، ولعمق علمهم ، وصحة مقاصدهم ، وقوة فهمهم .
- ٤- تقديم المحكم من كتاب الله على المتشابه ، وتقديم الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الضعيف ، وتقديم المعنى اللغوي الظاهر في نصوص الكتاب والسنة على التأويل والمجاز . وإقرار الأسماء الحسنى والصفات العلى على ظاهرها اللغوي من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تمثيل ولا تكيف .
- ٥- الحذر الشديد من التأثير بمبتدعات العصور ، ومجريات الأحداث ، ومذاهب الباطل ، ودعوات الانحراف ، حفاظاً على صفاء الدين ونقائه على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة الهدى من بعده .
- ٦- الدعوة إلى الجماعة بطاعة الله وطاعة رسوله ثم أولى الأمر وهم الأمراء والعلماء ، وعدم منازعة أولى الأمر ولايتهم ، أو الخروج عليهم ، إلا لكفر بواجب عندهم القدرة على تغييره .
- ٧- عدم تكفير أهل الكبائر من المسلمين ، أو اعتقاد أنهم بمنزلة بين المنزلتين ، بل اعتقاد أنهم مؤمنون ناقصوا الإيمان ، فهم مؤمنون بما لديهم من أصل الإيمان ، فاسقون بما ارتكبوه من المعاصي والآثام ، وأنهم تحت مشيئة الله يوم القيامة إما يعذبهم أو يعفو عنهم .
- ٨- الالتزام التام بنصوص الكتاب والسنة ، والاتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم والالتزام التام بصفاته ، من غير غلو ولا إفراط ، ومن غير تهاون ولا تقريط ، فهم وسط بين طرفين ، وحسنة بين سيئتين .

٩- الاحتكام عند التنازع إلى الدليل الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تعلق بالرجال ، ولا تعصب لمذاهبهم وآرائهم ، فالحق ما ثبت بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة على فهم الصحابة رضي الله عنهم ، وما لا نص فيه فالاجتهاد فيه جائز ، والخلاف فيه سائغ .

١٠- العناية البالغة بالعلم الشرعي ، وتعلمه ، وجعله مقدمة للعمل والدعوة ، فلا يصحّ العمل ، ولا تسلم الدعوة ، إلا إذا قاما على العلم الشرعي الصحيح .
فمراتب العبادة عندهم على النحو التالي :

١- تعلم العلم . ٢- العمل به . ٣- الدعوة إليه . ٤- الصبر على الأذى فيه .
فمن عمل بغير علم فقد ضلّ ، ومن دعا بغير علم فقد أضل .

١١-العناية البالغة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مع التواصي فيه بالحكمة ، ومراعاة مراتبه الثلاث التي بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :
"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" .

١٢- تعظيم فريضة الجهاد في سبيل الله ، وذكر فضائلها ، وأنها ذروة سنام الإسلام ، واعتقاد أنها قائمة إلى قيام الساعة ، لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تزال من أمتي عصابة يقاتلون على الحق قاهرين لعدوهم لا يضرهم معاداة من عاداهم حتى تأتيهم الساعة ، وهم على ذلك" رواه مسلم . وحديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال" ، رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

هذه من أهم معالم الدعوة السلفية أو مذهب أهل السنة والجماعة ، والمؤلفات في عقيدة أهل السنة والجماعة وأهل الحديث معروفة مشهورة ، نظمت فيها المنظومات ، ووضعت فيها المختصرات والمطولات ، ومن أشهرها :

١- من المنظومات : نونية ابن القيم وميمته ، ونونية القحطاني ، وسلم الوصول للحكمي ، وغيرها .

٢- ومن المختصرات : الطحاوية للإمام الطحاوي ، والواسطية ، والتدمرية ، والحموية ، وكتاب الإيمان للإمام ابن تيمية ، وعقيدة أهل السنة والجماعة للإمام الصابوني ، وكتاب التوحيد والأصول الثلاثة ، وكشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب ، وعقيدة أهل السنة والجماعة لابن باز ، وابن عثيمين ، ومجمل عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل ، وغيرها كثير .

٣- ومن المطولات : شروح هذه المختصرات جميعها .

٤- ومن الكتب الحديثية في ذلك : السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل ، والإيمان لابن منده ، ومعتقد أهل السنة والجماعة للالكائي ، والإبانة لابن بطة ، والسنة لابن أبي عاصم ، وغيرها كثير .

ولأن أهل السنة والجماعة (السلفيين) يعنون عناية بالغة بالاتباع في الدين وعدم الابتداع ، فهم يحرصون على التذكير بأئمتهم وسلفهم الذين يقتدون بهم ، ويتبعون أثرهم ، ويسيروا على نهجهم وطريقتهم ، ومنهم على مرّ العصور ، وتعاقب الأزمان :

١- إمامنا الأعظم وقدوتنا الأكبر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم خلفاؤه الراشدون ، ثم بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

٢- ومن التابعين وتابعيهم سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وسليمان بن يسار ، وعلي بن الحسين ، وعمر بن عبدالعزيز ، ومحمد بن مسلم الزهري .

ثم مالك بن أنس ، وعطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، وابن أبي مليكة ، وعمرو بن دينار ، وسفيان بن عيينة ، وفضيل بن عياض ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ورجاء بن حيوة ، وعبدالرحمن الأوزاعي ، والليث بن سعد ، وعبدالله بن وهيب ، وإبراهيم النخعي ، وسفيان الثوري ، ووكيع بن الجراح ، ومحمد ابن سيرين ، وأيوب السختياني وعبدالله بن عون ، وحامد بن زيد ، وسهل بن عبدالله ، وأحمد بن

حنبل ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد ، وعبدالله بن المبارك ،
ونعيم بن حماد ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ،
وأبوداود سليمان بن الأشعث ، وأبو عيسى الترمذي ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة
وغيرهم .

٣- ومن القرون المتوسطة : ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وابن كثير ، والذهبي ،
والمقدسي ، والسخاوي ، وغيرهم .

٤- وفي عصورنا المتأخرة : محمد بن عبدالوهاب ، والصنعاني ، والشوكاني ،
والقرعاوي ، والحكمي ، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وعبدالعزیز بن باز ، وابن
عثيمين ، والألباني ، وغيرهم من العلماء السلفيين . رحم الله الجميع .

أما المآخذ التي طرأت واستجدت على علماء ودعاة السلفية في زماننا هذا ، وأحببت
أن أهدي إليهم نصحي بتجنبها ، وتدارك ما فرط منها ، فهي على النحو التالي :

من أسباب ضعف السلفية اليوم وتفككها :

في الوقت الذي تسطر فيه هذه السطور تعيش الدعوة السلفية أزمة بالغة الخطورة ،
وشدة عصبية بالغة القسوة ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : الفرقة القائمة والخلاف الحاد بين دعاة السلفية من علماء وطلاب
علم ، فقد تميزوا بسبب هذه الخلافات إلى أربع فئات ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن
يجمع شتاتهم وأن يلم شملهم ، وأن يؤلف بين قلوبهم :

أ - فئة منهم جعلت همها نصره ولاية الأمور ، ومداراة أهل السياسة ، وذلك
لتخوفهم من وقوع الفتن والتناحر بين الولاية ورعاياهم ، فتنفرق المجتمعات
الإسلامية ، وتتقاتل ، فتسفك الدماء ، وتعظم الفتن حسب ظنهم ، فرأوا أن تماسك
هذه المجتمعات تحت سلطان واحد ، ولو كان ما كان ، أسلم لدينها ودنياها .

ب - وفئة منهم جعلت همها توعية الشعوب والمجتمعات الإسلامية بما يكيد به لها
أعداؤها ، وبما يمكر به المنافقون العلمانيون من أبنائها ، وبما يقع فيه أهل السياسة
والسلطان من أخطاء وتفريط وإسراف ، وهم يرون أن ذلك كفيلاً بظهور أجيال
مؤمنة واعية يمكنها أن تقاوم الأعداء ، وتصحح الأخطاء ، ولا سبيل عندهم إلى

إقامة الدين وظهور الحق وقمع الباطل إلا بإيقاظ المسلمين وتبصيرهم بدينهم بما هم فيه من تسلط الأعداء عليهم ، ولو كره ذلك أهل السياسة والسلطان .

ولكن هؤلاء لم يفتنوا إلى أهمية العلم الشرعي في تنشئة الأجيال المؤمنة ، وصرفوا جهودهم إلى التوعية الإعلامية ، مع ما يحيط هذه التوعية الإعلامية من محاذير شرعية ومداهنة لفساق الإعلام ، وموافقة على كثير من فساده .

ج - وفئة ثالثة رأت أن فعل هؤلاء الذين يسعون إلى تبصير الناس بمكائد الأعداء من اليهود والنصارى بالإسلام وأهله ، وبتقصير الحكام المسلمين في النهوض بالدفاع عن الدين وصد أعدائه ، أن فعلهم هذا مخالف لما كان عليه السلف ، وأنه خروج على ولاية أمر المسلمين ، وعدم إذعان لطاعتهم الواجبة . وقد بالغت هذه الفئة في تشديد النكير على هؤلاء والتغليظ عليهم ، والتحذير منهم ، حتى وصفتهم بالخوارج ، والمبتدعة ، ونبذتهم بألقاب عديدة منقّرة .

وهم يرون أن هذا كله من النصح للنهج السلفي الصافي ، الذي من أصوله طاعة ولاية الأمور ، وهم يرون كذلك أنهم يفتنون في غلظتهم وحدتهم هذه على غيرهم من الدعاة بحدة علماء الجرح والتعديل من أهل الحديث ، وشدتهم في ألفاظهم ومواقفهم على من يرتابون في عدالته أو حفظه من الرواة . وكذلك بمن تصدّى منهم لأهل البدع والأهواء فأغلظ عليهم القول وناصبهم العدا ، وكرّ على أقوالهم ومعتقداتهم حتى سقط كثير منها أو كاد .

د - أما الفئة الرابعة : فهم المجاهدون في سبيل الله ، الذائدون عن حمى الإسلام بالتصدي لأعدائه المحاربين له ، المحتلين لديار المسلمين ، في كل مكان .

وقد وقعت هذه الفئة المجاهدة اليوم في محنة عظيمة ، بعد أن تألبت عليها قوى الكفر ، وجموع الباطل ، وأجلبت عليهم بخيلها ورجلها ، وتناصرت في حربهم وقتالهم ، وآلت ألا تبقى لهم باقية ، ولا تتوانى في قتالهم واجتثاث عصابتهم بما لديها من قوة حربية هائلة ، وأعداد مجندة غفيرة ، مع قلة عدد المجاهدين ، وقلة عتادهم ، وهم مع ذلك لا يتخلون عن جهادهم ولا يلتفتون إلى من يلومهم أو يخذلهم .

إلا أنهم قد تبنا آراء شديدة فيمن خذلهم من أهل الإسلام ، أو من خالف اجتهاداتهم في معاملة الدول الكافرة بتغليب جانب السياسة والمداراة على جانب المواجهة والمعادة . ووقعوا بسبب ذلك في أخطاء عديدة ، فكفروا بعضهم ، ورأوا الخروج عن سلطة بعض حكامهم ، وقتل المعاهدين في تلك الدول بحجة أنهم محاربون لأهل الإسلام ومحتلون لبعض بلدانه .

فصدرت الفتاوى من بعض علماء المسلمين ضدهم بوصفهم بأنهم خوارج أو أنهم بغاة ، أو أنهم مفسدون في الأرض ، ونحو ذلك مما كان سبباً في تحير كثير من المسلمين في أمر هذا الخلاف الحاد والعداوات الظاهرة بين أهل السنة .

وكان هذا الخلاف الحاد بين السلفيين أهل السنة والجماعة سبباً في ضعف السلفية وفي تفرق الدعاة السلفيين في آرائهم واجتهاداتهم في الوقت الذي تنبه فيه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمنافقين إلى أنّ السلفية أهل السنة والجماعة ، الذين هم شوكة الإسلام ، ومصدر الرعب والخوف للطامعين في اجتثاثه وقهر أمته ، حتى سمّوهم بالإرهابيين ، أصبحوا فرقة ممزقة ، وشيعاً متفرقة ، فتجروا عليهم بالضغط على دولهم ، وبنشر العلمانية من جهة الغرب والتشيع من جهة الفرس في ديارهم . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إن السلفية اليوم تواجه الأخطار من داخلها ومن خارجها . والخطر الأعظم هو تصدع بنيانها من الداخل ، وتفرق علمائها ودعاتها إلى أحزاب وفرق شتى ، مع أنهم مجتمعون على الأصول السلفية ، وما الخلاف إلا في بعض المسائل من النوازل التي تتعدد فيها الاجتهادات ، أو في منهج الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية قيامهما .

ولو أن أهل السنة السلفيين تناصحوها فيما بينهم لكان خيراً من أن يتنازعوا ، فيفشلوا ، وتذهب ريحهم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ولكن مع هذا كله فإنه ليس ببعيد ولا على الله بعزير أن يتنبه السلفيون إلى ما يحيط بهم من الأخطار ، وما هم به مستهدفون ثم يتنبهوا إلى إمكان إصلاح ذات البين ، وتقريب وجهات النظر ، وتصحيح الأخطاء ، وتوحيد الاجتهادات ، والتنام

الصدع ، ومداواة الجرح ، فإذا هم يدُّ واحدة ، وقلب واحد ، وصف واحد ، وإخوة متحابون ، فيزول بذلك الخطر الأعظم الذي يهددهم وهو تفرق كلمتهم ، وتشتيت أمرهم وتفاقم الصدع فيما بينهم .

أما أعداؤهم أعداء الإسلام المتربصون من اليهود والنصارى والملحدين والمنافقين العلمانيين والروافض ، فشأنهم أقل ، وخطرهم أهون ، إذا توحدت الكلمة ، واجتمعت القلوب ، فجهاد هؤلاء قائم إلى قيام الساعة ، وقد وعدنا الله بالنصر عليهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وردهم خائبين ، بعد أن اشترط علينا الاعتصام بحبله المتين ، والالتجاء بركنه الشديد ، وعدم التنازع والتفرق فيما بيننا ، والله لا يخلف الميعاد .

ثانياً : ومن أسباب الضعف في الدعوة السلفية اليوم عدم التنسيق بين دعائها وضعف التعاون فيما بينهم ، وكأن التعاون بين الدعاة أمر غير مشروع ، بل ربما عدّه بعضهم بدعة ، وهذا أمر عجيب ، ومرده - والله أعلم - إلى شدة حذر الدعاة السلفيين من الوقوع في أي صورة من صور البدعة ، خاصة أنهم هم المعنيون بقمع البدعة والإنكار على أهل البدع .

ولكن التنسيق والتعاون والتنظيم بين الجهود والمواقف والأدوار ليس من باب البدعة في شيء بل هو - ولاشك - من باب التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم به ، وهو ألقى بدعوة السلفيين ومنهجهم من غيرهم إذ هم أهل العلم والعمل .

ثالثاً : ومن أسباب ضعف الدعوة السلفية حبّ التفرد في الدعوة ، والتصدر في التعليم ، والأثرة بالخير والفضل . وهذه أدواء ربما تسلّلت إلى نفوس كثير من الدعاة السلفيين وقلوبهم ، وهم في ميادين التنافس على الفضل والتسابق إلى الخير ، وهذا أيضاً ناتج عن إهمال بعضهم بل كثير منهم لرياضة النفوس وتركيتها بالآداب والكمالات التي تصفيها وتركيبها من نوازع الأثرة والكبر والحسد وحبّ الظهور والتفرد ونحوها من نوازع النفس ومثالبها . ولا يردنا إجلالهم عن ذكر هذه النقيصة الظاهرة خصوصاً أننا في سياق النقد وسبيل الإصلاح .

رابعاً : ومن أسباب الضعف في الدعوة السلفية اليوم ما يرى على كثير من طلاب العلم السلفيين من التواكل والكسل في دعوتهم ، فبينما نجد الدعاة في الجماعات الدعوية الأخرى بكل اتجاهاتها وعقائدها الإسلامية منها وغير الإسلامية عرفت في هذا العصر بالنشاط والحركة الدائبة والفاعلية القوية ، وذلك لتيسر أسباب الاتصال ، ولبروز الاتجاه إلى العمل الجماعي المنسق ، إلا أننا نجد في كثير من طلاب العلم بل من القائمين على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من السلفيين فتوراً ظاهراً ، وتواكلاً بيئياً ، وضعفاً في الاستعداد للتضحية والعمل الجاد أو الشاق ، وما ذلك إلا لانفراد كل واحد منهم بمجهود فردي ضعيف ينشط إليه حيناً ويتقاعس عنه في أحيان كثيرة فيكون ناتج ذلك هو الضعف والتواكل والكسل ، وقد شخص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الداء ، ووصف له الدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : "عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" ، فياليت قومي يعلمون بل يا يليت قومي يعملون .

خامساً : ومن أسباب الضعف في الدعوة السلفية تسلط الحكومات على الدعوة والدعاة في بلادها ، فكل حكومة إسلامية في زماننا هذا أصبحت موكلة من قبل الغرب بمنع الأنشطة الدعوية في بلادها ، والتضييق على الدعاة الناشطين أو سجنهم ، وتنشيط الإعلام ووسائل اللهو واللعب المضادة لهذه الدعوة ، وإلا كانت عرضة لتهمة الإرهاب وعقوبات الغرب الاقتصادية وغيرها . وليس الأمر قاصراً على الضغوط الغربية بل إن كثيراً من المتنفذين في بعض الحكومات الإسلامية علمانيون معادون للدعوة الإسلامية عامة والسلفية منها خاصة ، ومن ثم فهم يواجهون الدعوة السلفية مواجهة العداء والخصومة .

وقد أن لنا الشروع في وصف حال الدعوة السلفية في عصرنا الحاضر ، وانقسامها من حيث المنهج الدعوي إلى أربعة اتجاهات أو مدارس دعوية لكل منها معالمه وخصائصه ، على وجه التفصيل والبيان إن شاء الله .

المقالة الثانية:

المدارس السلفية في عصرنا الحاضر التمزق والخلاف

تمهيد :

نستعير كلمة (المدارس) مع حرصنا الشديد - كما هو مذهب أهل السنة والجماعة - على أن لا نخرج عن المصطلحات الشرعية ، والعبارات السلفية ، عند الكتابة أو التحدث عن أمر من الأمور الشرعية ، وندعو جميع العلماء والدعاة والكتاب أن يلتزموا ذلك ما وجدوا لذلك سبيلاً ، لأنه سبب من أسباب حفظ الدين على الوجه الذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقله الصحابة من بعده ، والأئمة الأعلام من أهل السنة والجماعة ، خصوصاً في زماننا هذا الذي فشت فيه العدوى بمصطلحات غريبة أو بدعية حتى جرت على السنة علماء من أهل السنة والجماعة ، ودخلت في كتاباتهم ، ومحاضراتهم ، فضلاً عن غيرهم ممن تحدث أو كتب في أمور شرعية .

ولكن مع ذلك فإني أجلّ أهل السنة والجماعة السلفيين من أن أسمي اختلافهم وانقسامهم بالفرق أو الأحزاب أو الطوائف أو ما أشبه ذلك من المصطلحات التي أطلقت على أهل البدعة والانحراف ، فاسميتها (مدارس) .

مع العلم كذلك أن إطلاق هذه التسمية (مدارس) على الانقسام والاختلاف بين أهل السنة والجماعة السلفيين لا يعني الرضا أو الإقرار بما آلت إليه حالهم من الفرقة والتشتت ، أو التهوين من شأن هذا الخلاف بينهم ، ولكنّه التلطف بهم ، والإجلال لأصل معتقدتهم الذي يجتمعون عليه ، وهم يجتمعون والله الحمد على أصول الدين وفروعه كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على فهم الصحابة رضوان الله عليهم وأئمة السلف الصالح ، وإنما الخلاف بينهم في سبيل

الدعوة وأساليبها ، وهو خلاف لا يستهان به ولكنه ليس كالخلاف في أصول الدين كما هو الحال مع الفرق الضالّة والمنحرفة .

أسباب التمزّق والخلاف بين الدعاة السلفيين اليوم :

١- الحدة في النقد والتجريح بدلاً من النصح والتصحيح ، فمن المعلوم أن السبّ والشتم والتجريح إنما تورث البغضاء والعداوة والعناد والتعصّب ، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ومن معه من المؤمنين أن يسبوا أصنام الكافرين وآلهتهم حتى لا يقابلوا ذلك بسب الله جل وعلا ، فيكون المؤمنون سبباً في فعلهم هذا .

قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) " الأنعام ١٠٨ " ، فلما علم الله سبحانه أن السب والشتم يورث التشدد في العداوة والبغضاء والتعصّب ، والرد المؤذي لله ولرسوله والمؤمنين ، نهاهم عنه ، وأهل السنة أولى بأن يهتدوا بهدي الكتاب والسنة ، وهم أهل الاتباع والوقوف عند حدود الله .

٢- عدم التواضع للنصيحة بين زعامات هذه المدارس ، (فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) " المؤمنون ٥٣ " ، ولو أنهم تواضعوا للنصيحة لاجتمع شملهم والتأم صدعهم ، وعاد كل منهم على نفسه بالمحاسبة والتصحيح والإصلاح حتى يزول ما قد علق بدعوتهم من غبار الدعوات الأخرى ، ويصلح ما قد وقع في اجتهاداتهم من الخطأ والخلل والجور والزلل ، والعصمة إنما وهبها الله لأنبيائه ورسوله ، وأما من عداهم فيؤخذ من كلامه ويرد ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وقّافين عند حدود الله ، يقبلون النصح ، ويرجعون إلى الحق . وسير الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكذلك أئمة السلف الصالح تحفل بهذا الخلق العظيم ، والأمثلة على ذلك كثيرة يعرفها العام قبل الخاص .

٣- ومن أسباب التمزّق والخلاف بين الدعاة السلفيين اليوم تدخل أهل السياسة والسلطان في توجيه الدعوة بما يتفق مع سياساتهم ويؤمن سلطانهم ،

مستخدمين في ذلك وسائل الترغيب والترهيب ، والتبديد والتقريب ، مستغلين عقيدة أهل السنة والجماعة في طاعة ولي أمر المسلمين ، واختلافهم في مسألتهم حدود الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكيفية كل منهما .

٤- تأثر بعض السلفيين باتجاهات دعوية قائمة على اتجاهات عقلانية

وتأملات فكرية تخالف أحياناً منهج السلف في الاستدلال والنقل ، وكذلك تأثرهم بما استحدثت من وسائل الإعلام وأساليبه المستقاة من الثقافة الغربية ، معتمدين على اجتهاداتهم في تقدير المصالح والمفاسد ، مقررين ذلك بنظرة عقلانية تتجاوز النصوص أحياناً أو تؤولها .

٥- اعتقاد بعض السلفيين أن الاتباع إنما يكون في العقيدة لا في الدعوة

وطرقها ، فجعلوا الدعوة مجالاً للاجتهادات ، والمبتدعات ، في طرقها وأساليبها ، والمنافسة في استعمال وسائل العلمانيين أحياناً في ترويجهم لباطلهم وعدوها وسائل دعوية مشروعة ، وقالوا : نحن أولى بها منهم ودعوتنا أحق بها من باطلهم ، وهذا منحى فيه خطر على الدعوة عامة ، وعلى المنهج السلفي العلمي القائم على الاتباع ، وعلى الاستدلال بالنصوص الشرعية في كل صغيرة وكبيرة .

٦- توجه بعض السلفيين إلى التكفير والتبديع ، والحكم على الناس حكماً أو

محكومين أو دعاة ، دون تبيين أو روية أو تورّع ، مما جعلهم يخطئون بعضهم بعضاً ، ويرد بعضهم على بعض ، وربما بدّع أو كفر بعضهم بعضاً ، وهذا غاية في البعد عن منهج السلف الصالح المحكوم بالتقوى والورع والعدل ، وتحري الحق والصواب . والله الهادي إلى سواء السبيل .

آثار هذا التمزق والخلاف بين الدعاة السلفيين :

١- ضعف الدعوة السلفية في مواجهة خصومها من أهل البدع والنفق

والزيف والانحراف ، ومن ثم تجرؤ هؤلاء الخصوم بإظهار بدعهم وانحرافاتهم ، بعد أن كانوا يتهيبون أهل السنة ويتخفون بأباطيلهم وانحرافاتهم ، إضافة إلى تجرؤهم على علماء أهل السنة بالتناول عليهم ، والرد على مقالاتهم ، ووصفهم بأوصاف لا تليق إلا بخصومهم .

- ٢- نشوء العداوات والخصومات بين أهل السنة والجماعة السلفيين ،
وانشغالهم بها عن دعوتهم ، وعن مواجهة خصومهم ، حتى أصبحوا فرقاً
متناحرة متنافرة ، يتهم بعضها بعضاً ، ويبدع بعضها بعضاً .
- ٣- حيرة طلاب العلم والدعاة إلى الله من الشباب الناشئين بسبب هذه
الانشقاق والتصدّع بين السلفيين أهل السنة والجماعة ، وتشرذمهم بين هذه
الاتجاهات المتبانية ، والخلافات المتفاقمة .

المقالة الثالثة :

* المدارس السلفية في عصرنا الحاضر *

المدارس الأربع

أولاً : المدرسة السلفية الفقهية : (مدرسة الدعوة إلى التوحيد) :

أ - منهجها الدعوي :

١- يقوم منهج هذه المدرسة على الدعوة إلى التوحيد خصوصاً توحيد العبادة (الألوهية) ، وإثبات الصفات لله تعالى على مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة أهل السنة والجماعة .

٢- يُعنى علماء هذه المدرسة ودعاتها ببيان أنواع الشرك وأصناف البدعة محذرين منها أشد التحذير ، داعين إلى نبذها والعودة إلى التوحيد والسنة .

٣- يُعنى هؤلاء الدعاة بالفقه وأصوله عناية بالغة مقروناً بالأدلة من الكتاب والسنة ، خصوصاً على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ويأخذون بالدليل الراجح من اجتهادات المذاهب الأخرى من أهل السنة إذا ترجح لديهم حتى لو خالف المذهب .

٤- يقرون بالمذاهب الأربعة في الفقه ، ويرون أنها جميعاً مذاهب أهل السنة والجماعة ، ولا يستنكفون عن الأخذ من أي منها إذا أسعفه الدليل .

٥- منهج هذه المدرسة في الحقيقة هو منهج الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فقد كان إمام هذه المدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب متأثراً بابن تيمية وتلميذه أشد التأثر في عقيدته ودعوته ووقوفه في وجه الطرق الصوفية وعقائد المتكلمين المبتدعة .

٦- اتسم المنهج الدعوي لهذه المدرسة في وقتنا الحاضر بالطابع الرسمي ، نظراً لتبني الدولة السعودية لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فانتشرت هذه الدعوة في المملكة السعودية عن طريق التعليم العام والجامعي ، وكذلك عن طريق الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد ، التي حولت بعد ذلك إلى وزارة ، كما انتشرت عن طريق جهود العلماء في الفتوى والمحاضرات والدروس العلمية داخل المملكة . أما خارج المملكة فقد اقتصر نشر هذه الدعوة على الجهود الحكومية - كذلك - عن طريق تأسيس بعض المعاهد الشرعية في بعض الدول الإسلامية ، أو إعطاء بعض الطلاب المسلمين منح للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، أو نحو ذلك مما جعل هذه الدعوة محدودة الانتشار في البلدان الإسلامية فضلاً عن غير الإسلامية .

ب - أهم رموزها :

١- الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده ، ومن أشهرهم : الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد ، والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد ، وهذان الكتابان هما في شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومنهم : الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، كان مفتياً للمملكة وفتاواه مشهورة يجلبها العلماء وهي مجموعة في مجلدات كثيرة ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وهو مفتي المملكة في وقتنا الحاضر .

وقد عمّت الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثير من العقائد الشركية والخرافات الصوفية ، وتفشى في الناس الجهل بالدين ، فتوجهوا إلى الحكم بالأعراف القبلية والعادات الجاهلية . فقام رحمه الله قومة صادقة في وجه هذا الاضمحلال للدين ، ودعا إلى العودة إلى التوحيد والسنة ، ونبذ الشرك والبدعة ، والعادات الجاهلية ، وأبلى في ذلك بلاءً حسناً ، وقد أعانه الله على ذلك بمساندة

الإمام محمد بن سعود حاكم الدرعية ، فانتشرت دعوته في أنحاء الجزيرة العربية ، وظل الحكم السعودي يساندها في مختلف مراحلها إلى يومنا هذا .

٢- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، العالم الجليل الفقيه المفتي الداعية المبجل ، عرف - رحمه الله - بسعة علمه وحلمه وجلالة قدره عند الناس ، وتآلف القلوب عليه ، حتى أثنى عليه واعترف بقدره القاصي والداني حتى مخالفه ، توفي رحمه الله عام ١٤٢٠هـ بمكة المكرمة .

٣- الشيخ محمد بن صالح العثيمين : العلامة الفقيه الأصولي الداعية المربي ، تخرّج على يديه كثير من التلاميذ ، وبث علمه في الناس بدروسه العلمية في القصيم ومكة المكرمة ، وفتاواه ، ومؤلفاته التي من أشهرها عقيدة أهل السنة والجماعة ، وكتابه الشرح الممتع على زاد المستقنع في الفقه الحنبلي ، وهو وجميع علماء هذه المدرسة على منهج ابن تيمية في تقديم الدليل من الكتاب والسنة على القياس وأقوال العلماء حتى لو خالف مذهبه الفقهي ، توفي رحمه الله عام ١٤٢١هـ بمكة المكرمة .

٤- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، أحد العلماء الأجلاء الذين يرجع إليهم في الفتوى ، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود في الفقه ، وقام بالتدريس فيها . اشتهر حفظه الله بمواقفه الجليّة في التصدي للدعوات العلمانية ودعاة أهل البدع ، والرد عليهم بالردود العلمية المُفحمة ، وله مؤلفات عديدة في العقيدة والفقه ، ومقالات كثيرة في الدعوة إلى الله والرد على أهل البدع والانحراف .

ج - مزاياها :

١- تتميز هذه المدرسة بالعناية الكبيرة بنشر العلوم الشرعية على مذهب أهل السنة والجماعة خصوصاً ما يتعلق بالعقيدة السلفية والأحكام الفقهية ، وقد تخرّج عليها في المملكة كثير من العلماء وطلاب العلم ، وأصبح - بسبب ذلك - كثير من العامة - في المملكة - على وعي تام ودراية بكثير من الأحكام الشرعية والأصول العقديّة .

٢- كما تتميز هذه المدرسة بالتأكيد على مسائل التوحيد في العقيدة خصوصاً توحيد الألوهية وإثبات الصفات ، ومن ثم التأكيد على نبذ الشرك والبدعة بأنواعها .
٣- وعلى الرغم مما اشتهر عن دعاة هذه المدرسة في بداية الحكم السعودي من خشونة وفظاظة في الدعوة إلى الله ، وأخذ الناس بالشدّة والغلظة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلا أن هذا كان - غالباً - من الدعاة العوام وأشباه العوام .

أما علماءها فقد تميزوا في تقديم للمذاهب والفرق والجماعات الدعوية الأخرى بمنهج علمي رصين يقوم على بيان المخالفات والأخطاء عند غيرهم ، والرد عليها رداً علمياً مبنياً على الدليل الشرعي من الكتاب والسنة ، في عبارة رصينة متزنة ، دون تلب أو قدح أو تجريح لمن خالفهم إلا في القليل النادر ، فنقدم غالباً إنما ينصب على المناهج والعقائد المخالفة لا على أشخاص دعائها ومثالبهم .
بل إن الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - وهو أحد أئمة هذه المدرسة - قد أصفى عليها بسبب حلمه ولين جانبه طابعاً من الرفق والرحمة تألف به كثيراً من المخالفين ، وحظي بسببه باجتماع القلوب على موّدته من القاصي والداني ، وبتوقيره واحترامه حتى من المخالف المعادي .

د - المآخذ عليها :

١- إن الطابع الرسمي الذي اتسمت به هذه المدرسة بسبب ارتباطها بالحكم في المملكة العربية السعودية قد أثر على ظهورها وانتشارها سلباً وإيجاباً .
فأما في داخل المملكة فقد كان الأثر الرسمي على هذه الدعوة إيجابياً نظراً لما حظيت به من دعم وعناية من الحكومة ، يتمثل في نشرها عن طريق التعليم العام والجامعي وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووزارة الدعوة والإرشاد وغيرها ، وقد سبق ذكر هذا عند الحديث عن منهجها .
أما في خارج المملكة فقد كان للطابع الرسمي أثره السلبي في تحجيم هذه الدعوة ، وضعف آثارها ، وقلة انتشارها ، نظراً لحرص الدولة على أن لا تتأثر

علاقتها السياسية بردات الفعل التي تواجهها (العقيدة الوهابية) ([١]) في الخارج لهذا ظلت هذه الدعوة حبيسة المملكة إلا ما سبق ذكره من انتشار بعض المعاهد والمراكز المحدودة الأثر في الخارج .

٢- لقد صاحب قيام هذه المدرسة الدعوية ، ونشر دعوتها ، نَفْسٌ من العصبية القبلية المُنْفَرَة ، نظراً إلى أن قيام دعوتها كان في القبائل النجدية التي خرجت بها في ركاب الجيوش السعودية التي سيطرت على قبائل الجزيرة ووحدتها في كيان واحد هو المملكة العربية السعودية .

وقد ظل هذا النَّفْسُ النجدي القبليّ مصاحباً لانتشار هذه الدعوة حتى إن من دعائها العوام أو أشباه العوام من يحملها على أنها دعوة نجدية ، يعتدُّ بها اعتداداً قبلياً أكثر من اعتداده بعقيدتها السلفية الصافية ، بل قد يُشتمُّ هذا النَّفْسُ القبليّ عند بعض طلاب العلم من دعائها ، حاشا العلماء ، مما جعل النِّفَرَة منها قائمة في نفوس كثير من الناس زمناً طويلاً ، ولولا قيام الدولة السعودية عليها ونشرها عن طريق التعليم وغيره لكان هذا النَّفْسُ القبليّ سبباً في عدم خروجها عن دائرة بعض القبائل النجدية .

٣- خضوع هذه المدرسة للتوجه السياسي للدولة السعودية ، وحرص دعائها وعلمائها على عدم مصادمة هذا التوجه السياسي سواءً في الداخل أو الخارج ، مما جعل خصومها وبعض أتباعها يصمونهم بالمداهنة ، ويطلقون على علمائها - أحياناً - لقب "علماء السلاطين" .

٤- انحصار المجهود الدعوي لهذه المدرسة في دائرة العلم والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يكن للمجهود التربوي الإيماني حظ من الاهتمام لدى دعائها وعلمائها ، كإقامة المراكز الدعوية ، وإعداد البرامج التربوية الإيمانية التي تمكّن الدعاة والعلماء من رعاية الشباب وغيرهم من فئات المجتمع والمحافظة على عقائدهم وتوجهاتهم السلفية الصحيحة خارج إطار الأنظمة الرسمية المعقّدة ، خصوصاً في هذا العصر الذي تتعرض فيه المجتمعات الإسلامية لموجات من التغريب والدعوات القائمة على أفكار وتوجهات بدعية منحرفة .

ولذلك فقد تُرك الباب مفتوحاً على مصراعيه للجماعات الدعوية الأخرى ،
وللتقافات العلمانية وغيرها ، حتى أصبح المجتمع نهياً للدعوات المختلفة ، ومسرحاً
للصراعات الفكرية والثقافية المتعددة .

ثانياً : مدرسة المحدثين السلفية : (مدرسة الجرح والتعديل)

أ - منهجها الدعوي :

١- يقوم منهج هذه المدرسة على تعليم العلم الشرعي خصوصاً علم
الحديث دراية ورواية ، وقد تخرج عدد من طلاب العلم والدعاة على هذا المنهج
العلمي الحديثي .

٢- يقتفي أصحاب هذه المدرسة آثار المحدثين السابقين من الحنابلة في
دعوتهم ومواقفهم من الرواة ومن رؤوس الفرق البدعية ، خصوصاً الفترة (ما بين
القرن الرابع الهجري إلى السادس الهجري) ، وهي فترة صراع مرير بين الحنابلة
أهل الحديث ومن سواهم من أهل الفرق والمذاهب الأخرى .

٣- يعتمد منهج هذه المدرسة في دعوته وتقويمه للعلماء والدعاة
وأتباعهم على منهج (الجرح والتعديل) الذي قوّم به المحدثون السابقون رواة
الحديث ورجالات الفرق الأخرى . فهم يواجهون الجماعات الدعوية بجرح دعائها
وزعاماتها والتنقص منهم واتهامهم بالبدعة وربما الحكم عليهم بالكفر والزندقة .
وذلك لأنهم يرون أن جرح أولئك الدعاة واتهامهم في عقيدتهم وتمزيق سمعتهم هو
أفضل السبل لإسقاط دعوتهم وتحذير الناس منهم . وهذا مسلك تنزه عنه علماء
المدرسة الفقهية السابقة وعابوه على من سلكه . ولا شك أنه مسلك خشن يهدم ولكنه
لا يصلح .

٤- لا يرى أصحاب هذه المدرسة عند تقويمهم لزعامات الجماعات
الأخرى مبدأ الموازنة بين الحسنات والسيئات لأولئك الأشخاص وإصدار الحكم
عليهم من خلال ذلك ، بل يرون أن في ذلك إضعافاً لحجّتهم ، وقصوراً عن بلوغ

الغاية التي ينشدونها وهي إسقاط أولئك الدعاة وإزالة تلك الجماعات وإبطال مناهجها .

٥- يعرف عن أصحاب هذه المدرسة مصانعتهم لولاية الأمور أياً كان حالهم ، وذلك بإظهار تأييدهم لهم ، وبالإنكار على من ينكر عليهم ، حتى إنهم ليتصدون لكل من أنكر على الولاية مهما كان حال الوالي من الفسق ومحادة الدين وإقرار الحكم بغير ما أنزل الله وغير ذلك ، ويصفون من يخالفه أو ينكر عليه علانية بالبدعة ، وينسبونه إلى فرقة الخوارج الذين وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلاب النار .

٦- كان هذا المسلك لأصحاب هذه المدرسة ذريعة لبعض الحكام في البطش بكل من خالفهم أو أنكر عليهم بإيقافهم أو سجنهم أو فصلهم من وظائفهم الحكومية ، بحجة عدم جواز الإنكار والمخالفة علانية شرعاً كما تقرره هذه المدرسة السلفية .

كما إنه كان في هذا المسلك فرصة لهم في محاولتهم إزالة هذه الجماعات وإسقاطها والانتصار عليها باستعداد الحكام عليها وإفتائهم بوجوب منعها والتكليف بدعاتها ، وبلغ بهم الأمر حد التحريض على قتل هؤلاء المخالفين ، وكان بعضهم يقول : اقتلوهم ودمهم في رقبتي .

ب - أهم رموزها :

١- الشيخ محمد أمان الجامي : وهو عالم محدث (من الحبشة) ، ولد بالحبشة ، ثم انتقل إلى السعودية وأتم تعليمه الثانوي والجامعي بها ، وحصل على الماجستير من جامعة البنجاب والدكتوراة من دار العلوم بالقاهرة ، ودرس على يد عدد من المشايخ السلفيين منهم : الشيخ محمد بن إبراهيم وعبدالرزاق عفيفي وعبدالعزيز بن باز وغيرهم . و كان مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة . وقد نسبت إليه هذه المدرسة الدعوية فسميت ب(الجامية) ، لأنه كما يبدو كان من أوائل من رسخ منهج الجرح والتعديل في تقويم الدعاة ومحاوله إسقاطهم وإزالة مناهجهم

الدعوية بهذا الأسلوب النقدي . توفي رحمه الله في ٢٦ / ٨ / ١٤١٦ بالمدينة المنورة .

٢- الشيخ ربيع بن هادي المدخلي : وهو عالم محدث (من السعودية) ، تخرج من المعهد العلمي بصامطة ، ثم التحق بالجامعة الإسلامية ، وتخرج منها ، وحصل على الماجستير والدكتوراه في الحديث من جامعة الملك عبدالعزيز . ثم كان مدرساً في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، ويعدّ من أبرز رموز هذه المدرسة وأقواهم في إظهار منهجها ، ومواجهة خصومها .

يعد الشيخ ربيع المدخلي من أبرز مشايخ هذه المدرسة وأكثرهم تحمساً وإصراراً على منهجها . وله مؤلفات عديدة أكثرها في الرد على رموز الجماعات الدعوية في وقته ، والحط عليهم بتجريحهم وتبديعهم وربما تكفير بعضهم .

٣- الشيخ مقبل بن هادي الوادعي : وهو عالم محدث (من اليمن) ، درس في معهد الحرم ، ثم الجامعة الإسلامية حتى حصل على شهادة الماجستير منها ، ثم انتقل إلى اليمن على إثر اتهامه بمراسلة جهيمان العتيبي . رُحِّل بعدها إلى بلده ، حيث بدأ بتأسيس مركز علمي حديثي بقرية (دماج) من محافظة (صعدة) . ثم توافد إليه طلاب العلم من أنحاء اليمن والعالم لدراسة علم الحديث في مركزه حتى صاروا بالآلاف .

تبنى الشيخ مقبل منهج الجرح في كلامه وكتاباته عن الدعاة من الجماعات الدعوية الأخرى ، وصنف في ذلك المصنفات ، فهو يعتزم من زعامات هذه المدرسة ورموزها . توفي رحمه الله بمدينة جدة في ٣٠ / ٤ / ١٤٢٢ ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة .

ج - مزاياها :

١- تتميز هذه المدرسة بعنايتها بعلم الحديث وعقيدة السلف تعلماً وتعليمياً ودعوة .

٢ - يتميز أتباع هذه المدرسة بالتصدي للبدع الدعوية لدى الجماعات الدعوية الأخرى ، وقد جعلوا هذا المضمار محط جهودهم واهتمامهم ، لولا ما يشوب نقدهم من روح العداة ، وتقصد الأشخاص ، وكيل التهم بحق وبغير حق ، مما سيأتي ذكره في المآخذ .

٣ - حفاوتهم بعلماء السلف ، وسعيهم إلى تقليد منهجهم وطريقتهم في الدعوة ، وإشهار مناقبهم ، وتدريس كتبهم .

٤ - قيام طريقتهم في الدعوة على تعلم العلم الشرعي خصوصاً علم الحديث والعقيدة السلفية .

د - المآخذ عليهم :

١- حدة الخطاب ، وعنف العبارة ، وروح العداة في الإنكار على المخالفين ، بدلاً من أسلوب النصح في الدعوة ، والترفق في الخطاب ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي أحسن ، وهذا خلاف التوجيه القرآني ، والهدي النبوي ، في خطاب المخالفين ودعوتهم .

٢- تجريح المخالفين ، واتهامهم في نياتهم ومقاصدهم ، وإظهار العداوة لهم ، والسعي بهم أحياناً إلى الحكام ونوي السلطان على خلاف منهج أهل السنة والجماعة الذي عرف عنهم ، بل إنّ الوشاية والسعاية بالمخالفين إنّما هو مذهب المبتدعة ، أمّا أهل السنة فمذهبهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لمن خالفهم .

٣- تركيزهم على تعلم الحديث ، أو تغليبهم على غيره من العلوم الشرعية خصوصاً الفقه ، بحيث ظهر أثر ذلك على الدعاة المحدثين في قلة فقههم وضعفه خصوصاً في مخاطبة المخالفين ، وفي موازنة المصالح والمفاسد ، وفي تقدير الأحكام ، سواء فيما يتعلق بالأحكام أو بالدعوة إلى الله ، وهذا بسبب الخلل في التلقي .

- ٤- اقتصارهم في إنكار المنكر غالباً على الجماعات الدعوية ، أو على بعض المبتدعة ، والسكوت عن كثير من أهل الفساد والفسوق ، أو أصحاب التوجهات الإلحادية والعلمانية ، خصوصاً من كان منهم مقرباً إلى الولاة وأصحاب السلطان .
- ٥- مصادرة ولاة الأمور ، واستعداؤهم على المخالفين لهم من الجماعات الأخرى ، بطريق الوشاية والتهمة .
- ٦ - غلو أتباع هذه المدرسة في طاعة ولي الأمر الحاكم ، واعتبار طاعته مطلقة ، فلا يجيزون مخالفته ولا الإنكار عليه أو مناصحته علانية ، وإن كان علمانياً مفسداً محاداً لله ولرسوله حاكماً بغير ما أنزل الله .
- ٧ - إشعال الفتنة بين أهل السنة ، وإيقاظ الفرقة فيما بينهم ، بتصنيفهم على أنهم مبتدعة ، وأكثرهم على أنهم خوارج ، لمجرد اختلافهم مع بعض الولاة في مسائل من الدين جار فيها الولاة أو خالفوا فيها كتاب الله وسنته .
- ٨ - نتج عن غلوهم في طاعة ولي الأمر مع ما يكون من أعمال بعضهم المخرجة عن الملة أحياناً تلبسهم بمذهب الإرجاء ، فلا يرون في عمل هؤلاء الحكام المخرج من الملة ناقضاً للإسلام ، ويرون بأن مجرد نطقه بالشهادتين أو انتسابه للإسلام كاف لتصحيح معتقده ، فجعلوا الإيمان النطق باللسان ولو ناقضه العمل . وهم مضطربون في هذه المسألة ، وإرجاؤهم فيها إنما يكون في الحكام ومن التحق بهم من العلمانيين والزنادقة ، ولا يخرجون إلى الإرجاء في كل شيء .

ثالثاً : المدرسة السلفية الفكرية (أو السلفية العصرية) :

أ - منهجها الدعوي :

١- الأصل في معتقد هذه المدرسة أنها سلفية في كافة أصولها العقدية ، إلا أن النفس الثقافي الفكري قد طغى على منهجها الدعوي ، ولعل من أسباب ذلك تأثر دعائها بالمفكرين الإسلاميين المعاصرين من أمثال : أبي الأعلى المودودي مؤسس (الجماعة الإسلامية) بباكستان والهند والبنغال ، وحسن البنا مؤسس (جماعة الإخوان المسلمين) بمصر ، وسيد قطب أحد رموز جماعة الإخوان ، وأبي الحسن الندوي بالهند ومالك بن نبي بالجزائر . بل ومفكرين غربيين وشرقيين مسلمين وغير مسلمين . ولكن خصومهم من سلفية المحدثين ينسبونهم على وجه الخصوص إلى المفكر الإسلامي محمد بن سرور زين العابدين وسموهم لذلك ب(السرورية) ، ولعل ذلك بسبب التوافق بينهم وبينه في المعتقد السلفي مع الفكر الإصلاحى النقدي الحركي .

٢- مرور هذه المدرسة بمرحلتين متباينتين بالنسبة لمواقفها الدعوية :

المرحلة الأولى : (بداية المدّ الدعوي لهذه المدرسة ويسمى بمرحلة [الصحوة]):

ويتجلى في هذه المرحلة نشاط الدعاة السلفيين الحركي من أتباع هذه المدرسة ، وتأثر جماهير الناس بدعوتهم من مختلف طبقات المجتمع ، ويقظة المسلمين إلى دينهم ، والتزام أكثر المجتمع بالدين التزاماً شمولياً ، وكأنك تعيش عهود السلف الصالح ، وسميت هذه المرحلة ب(الصحوة) وحق لها أن تكون صحوة لما ظهر فيها من الخير ، ورجوع الناس إلى الدين . وكانت الأنشطة الدعوية في هذه الفترة تتمثل في المناشط الآتية :

أ – إلقاء المحاضرات في المساجد والمدارس والجامعات وكذلك عقد الندوات العلمية والدعوية بها من قبل العلماء والدعاة ، وتنقل الدعاة لإلقاء المحاضرات في مختلف المناطق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

ب _ عقد الدروس العلمية في مختلف العلوم الشرعية في جميع المناطق ، وتسابق الشباب على حلق العلم بين يدي العلماء .

ج _ تكاثر حلق تحفيظ القرآن للشباب في أكثر المساجد وفي جميع المناطق ، وقيام دور تحفيظ القرآن الكريم للنساء في جميع الأحياء والقرى والهجر بصورة لم يسبق لها مثيل .

د _ قيام المخيمات الدعوية والمراكز الصيفية والرحلات الشبابية التربوية لدعوة الشباب وتربيتهم على الحياة الإسلامية ، والأخلاق القرآنية ، والنهج النبوي الصافي .

هـ _ توبة الأعداد الغفيرة ممن غرقوا في المعاصي والمنكرات ، حتى صار كثير منهم أئمة مساجد ودعاة ومجاهدين في سبيل الله .

و _ ظهور الجمعيات الخيرية لإغاثة الفقراء والمساكين والأيتام في جميع المناطق ، وانتشار بعضها في جميع بلاد العالم الإسلامي حتى صار نشاطها على مستوى العالم .

ز _ التفاف الشباب حول العلماء والدعاة ، حتى صار المجتمع بأكمله يرى في علمائه ودعائه رموزاً قيادية يقتدي بها ، ويسترشد بتوجيهاتها ، ويلتزم منهجها .

المرحلة الثانية : (مرحلة الالتفاف على الصحوه وضربها) : وفي هذه المرحلة

أ _ حدوث حرب الخليج (دخول الجيش العراقي إلى الكويت واحتلالها) ، وهنا قام أكثر رموز هذه المدرسة بالفتوى بتحريم الاستعانة بالكفار (الأمريكان) في محاربة الجيش العراقي المسلم ، ووجوب إعلان الجهاد لإخراج الجيش المحتل . بينما صدرت فتوى كبار العلماء بجواز ذلك . فاعتبرت الدولة أن هذا الموقف كان

ضد إرادتها ، فكان من آثار ذلك سجن عدد من رموز هذه المدرسة ، منهم : سفر الحوالي ، وسلمان العودة ، وناصر العمر ، وسعيد آل زعير ، وغيرهم .

ب _ بعد خروج هؤلاء الرموز من السجن منعوا من كثير من الأنشطة الدعوية ، وبدأ التضييق على كافة الأنشطة تدريجياً حتى كان حدث ضرب الأبراج الأمريكية في ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م ، فتم إغلاق كافة الأنشطة الدعوية تقريباً إلا بعض الجهود الضئيلة لمكاتب دعوة الجاليات .

ج _ من الغريب أن رموز هذه الدعوة بعد خروجهم من السجن تخلوا عن منهجهم الدعوي وتحول كل منهم إلى نشاط فردي يتحاشى فيه غضب الدولة ، أو الوقوع في تهمة الإرهاب المجرمة دولياً .

٣ - منهج هذه المدرسة السلفية الفكرية هو منهج دعوي تربوي فكري، والمعروف أن المنهج السلفي يقوم على تعلم العلوم الشرعية وتعليمها وينتشر عن هذه الطريق ، إلا أن السلفية الفكرية تنحو إلى تغليب الجانب التربوي التثقيفي الحركي على مجرد التعليم ، ولا شك أن هذا من تأثر دعائها بالمناهج الفكرية في دعوة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بالهند ونحوها .

ب - أهم رموزها :

١- الشيخ سفر بن عبدالرحمن الحوالي : أحد أعلام هذه المدرسة ، ومدار رحاها ، حصل على الشهادة الجامعية الأولى (البكالوريوس) من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وعلى الجامعية الثانية والثالثة (الماجستير والدكتوراه) من قسم العقيدة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ودرّس فيها ، ورأس قسم العقيدة الإسلامية بها .

عرف بذكائه ودهائه وجرأته في عرض مباحثه وأقواله خصوصاً في كتبه التوعوية في التحذير من المخططات الغربية مثل كتابه (وعد كيسنجر) ، وموقفه المعارض لدخول القوات الأمريكية الكويت .

اشتهر بدرسه في العقيدة الطحاوية الذي كان يلقيه بأحد مساجد جده ، وبمحاضراته التي كان يتداعى لها الشباب ، ويجتمع لسماعها الجم الغفير منهم ، كان شديد الإنكار على بعض سياسات الدولة ، وبعض مظاهر الفساد الإجتماعي ، فسجن بسبب ذلك خمس سنوات متصلة أو نحواً منها .

٢- الشيخ سلمان بن فهد العودة : من أبرز أعلام هذه المدرسة ، وأكثرهم تمثيلاً لمنهجها ، كان كثير المحاضرات قبل سجنه ، يلتف حوله الشباب في مواكب في طريقه وفي محاضراته .

أما بعد خروجه من السجن فقد نقل نشاطه الدعوي إلى الإعلام ، خصوصاً القنوات الفضائية . إضافة إلى موقعه الإعلامي المسمى (الإسلام اليوم) في شبكة المعلومات (الانترنت) ، وقد أخرج مجلة باسم هذا الموقع ، فجهوده الدعوية من بعد خروجه من السجن كانت إعلامية توعوية ، يحاول الشيخ فيها إظهار بعده عن التوجهات المتشددة ، وإبراز انفتاحه على كافة الأطياف .

وقد وصل الشيخ سلمان في هذا الاتجاه إلى أن نحى بعد ذلك منحى تصالحياً مع التوجهات الليبرالية ، ومن يسمون بالحقوقيين ، وحاول المشاركة في بعض مؤتمراتهم المختلطة في بعض دول الخليج التي كانت تعج بالشباب والشابات في صورة مختلطة بعيدة عن أي اعتبار للموقف الديني ، لولا إيقاف بعض هذه المنتقيات من جهات رسمية .

٣- الشيخ ناصر بن سليمان العمر : أحد أعلام هذه المدرسة ، كان رئيساً لقسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض . اشتهر بمحاضراته الرصينة المؤثرة . وبحسن اختياره للموضوع والمناسبة والوقت الذي يلقي فيه محاضراته . وتأتي محاضراته تعبيراً قوياً عن توجه هذه المدرسة في النقد الاجتماعي والسياسي المتزن والهادف . ويميل الشيخ ناصر إلى الجانب الدعوي التربوي الوسطي المتزن .

له كتيبات ورسائل دعوية منها كتابه الذي أسماه (فقه الواقع) ، وأراد منه اعتبار البعد الواقعي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في فقه الدعوة ، إلا أن هذا

الموضوع أحدث دويماً في الأوساط السلفية بين مؤيد ورافض . والذين يرفضونه يقولون إنه دعوة لتكون الصحف والمجلات والوسائل الإعلامية الأخرى مصادراً للتلقي ، والدعوة أمر شرعي مصادره الكتاب والسنة ومنهج السلف وعملهم .

٤- الشيخ سعيد آل زعير : أحد أعلام هذه المدرسة ، درس مراحل التعليم العام بالرياض وحصل على المركز الثاني في الثانوية على منطقة الرياض ، ثم كلية الشريعة ، وبعدها حضر الماجستير والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى في الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود .

كان كثير المحاضرات في النقد السياسي والاجتماعي قبل سجنه ، فقد سجن ثماني سنين متصلة ، ثم أفرج عنه ثم أعيد إلى السجن بسبب تصريحاته الجريئة في بعض وسائل الإعلام ، ثم أفرج عنه بعد تبرئته من التهم الموجهة إليه ، وقد عرف بصلاية مواقفه ، وعدم قبوله بالاعتذار عنها .

٥ - الشيخ عائض بن عبدالله القرني : كانت محاضراته وخطبه المنبرية في بداية دعوته تلهب حماس الشباب ، وتذكي في نفوسهم وهجاً إيمانياً قوياً ، وكان يصاحبهم أحياناً في رحلات دعوية ، مما جعلهم يتعلقون بأسلوبه الخطابى الوعظي ، حتى إن الأشرطة الصوتية المسجلة لمحاضراته وخطبه تتداول بينهم من أول ساعة تلقى فيها الخطبة أو المحاضرة ، وحتى إنهم ليقلدون صوته ، وطريقة إلقائه ، فيما يلقونه من الكلمات أو المحاضرات أو الخطب ، وقد تعرّض لمكيدة دبّرت له بليل ، سجن بسببها ، فسعى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في إخراجه من السجن .

وكان لسجنه أثره في دعوته ، فقد أوقف عن الخطابة والمحاضرة عدة أعوام ، وانتقل على إثر ذلك من أبها إلى الرياض ، وتبدلت مواقفه الدعوية فتخلى عن الجماهير التي كانت شغوفة بمواعظه خصوصاً الشباب منهم .
وسعى إلى أن يظهر ولاءه للدولة ، وندمه على أعماله الدعوية التي أغضبته ، بل ويظهر عدم رضاه عن أي معارضة من الدعاة .

وعلى كل حال فقد تقلبت مواقفه وتلونت بألوان متباينة ، أفقدته كثيراً من تعلق الناس به وربما ثقتهم ، وأصبح في نظر كثير وكأنه لا يدري ما يفعل ، حتى إنه أعلن اعتزاله للدعوة في قصيدة طويلة سارت بها ركبان الصحافة وقتها .
وعلى كل فدوره الدعوي كان وعظياً توجيهياً ، ولم تعرف له مواقف سياسية ، إلا أنه كان مؤثراً في تنشيط الصحوه الشبابية ، وتفعيل أنشطتها .

ج - مزاياها :

- ١- تميزت هذه المدرسة بالروح الدعوية القوية ، وبالحماس في الدعوة ، وبالسعي إلى كشف المؤامرات اليهودية والنصرانية الاستعمارية ضد المسلمين ، وإلى كشف الخطوات العلمانية الشيطانية في إفساد المجتمع الإسلامي والانقلاب عليه ، والتحذير منها . وبسبب ذلك فإن الليبرالية السعودية عندما أرادت بسط مشروعها الليبرالي على المجتمع السعودي وجدت في طريقها عقبة كأداء وهي الوعي الكبير في أوساط المجتمع السعودي بخطورتها وحررها على الإسلام جراء ما تلقاه المجتمع من هذه المدرسة الدعوية من توعية شاملة ، ووعي ديني عميق .
- ٢- كما تميزت في بداية أمرها بالاتصال بالشباب ، وتربيتهم ، ونفث روح الحماس الديني فيهم ، وتأجيج سورة الغيرة على محارم الإسلام وشعائره ، فكانت وقوداً للصحوه الإسلامية العارمة في وقتها .
- ٣- ومما تميزت به هذه المدرسة الجرأة على النقد السياسي والاجتماعي والإصلاحي ، وبتث الوعي بمجريات الأحداث وتفسيرها ، والكشف عن دوافعها وخلفياتها ، مع الوسطية في الطرح والمنهج .
- ٤- ظهرت هذه المدرسة إبان الجهاد الأفغاني ضد دولة الروس المسماة بـ (الاتحاد السوفيتي) ، فكان لها أثر بالغ في توجه الشباب إلى الجهاد في سبيل الله ، حتى امتلأت ساحات الجهاد الأفغاني بالشباب العربي المسلم الذي سطر البطولات الجهادية العجيبة هناك . ولذلك واجه رموزه هذه المدرسة تهمة التحريض على الإرهاب كما يحلو للغرب وأتباعه أن يسموه .

٥- أعطت هذه المدرسة الشباب ثقةً بالغاً بدينهم ، وروحاً من الاعتزاز والفخر بماضيهم ، وطموحاً إلى إظهار الإسلام والخروج به إلى العالم ، وقناعة بأن الإسلام يحمل أسباب التقدم والازدهار .

وكان هذا بعد الموجة العدائية للإسلام من دعاة القومية العربية ، ومن دعاة التغريب ، ووصفهم الإسلام بالرجعية ، والتخلف ، والجمود . حتى نفر الشباب بسبب هذه الأوصاف من التدين ، واستحيوا من أن يوصفوا به ، فكان لهذه المدرسة وغيرها من الجماعات الدعوية فضل - بإذن الله - في عودة الشباب إلى التدين والاعتزاز به .

د-المآخذ عليها :

١- لم تمثل هذه المدرسة المنهج السلفي العلمي في الدعوة ، من حيث العناية بإقامة الدروس العلمية في كافة العلوم الشرعية ، وحث دعائها على إقامة الدروس الشرعية ، والتركيز من خلال ذلك على مسألة التوحيد واتباع السنة ، ونبذ الشرك والبدعة ، بل اتجهت إلى التركيز على التحذير مما تتعرض له الأمة الإسلامية من أخطار خصومها وجهل أبنائها ، ونحت بالدعوة إلى المنهج الذي يقوم على :

أ - الترخص في وسائل الدعوة وطرقها .

ب - النظرة العقلانية التي تجعل الدعوة فكراً أكثر منها علماً .

ج - الاشتغال بالنقد السياسي ، واتخاذ وسائل الإعلام مصادر للتلقي لما أسموه بـ (فقه الواقع) .

٢- لم يثبت أكثر رموز هذه المدرسة على مواقفهم التي بدأوا بها دعوتهم ، وتلون خطابهم الدعوي بما يوحي أنهم جعلوا المصلحة الشخصية للداعية فيما يواجهه من ضغوط وأخطار تحكم مواقفهم وتوجهاتهم ، وقد يسمون ذلك بـ (مصلحة الدعوة) .

٣- ثققتهم بالوسائل الإعلامية في نشر الدعوة إلى الله ، فركبوا الموجة الإعلامية ولم يتورعوا عن الظهور في القنوات الفضائية ، وبت البرامج الدعوية

من خلال الوسط الإعلامي المسخر أصلاً للخطة الغربية العلمانية ، وفي أجواء إعلامية تتحكم فيها الكاميرا والإخراج التلفازي ، ورغبات الجماهير ، والتوجه الإعلامي . وقد خضعوا من خلال ذلك في خطابهم الدعوي لمقتضيات الإعلام المحكوم بثوابت الثقافة الغربية ومتغيراتها ، ففروا إلى أحضان خصوم الأمس ، وساروا في طريق رسمه غيرهم .

وفي الحقيقة أن المنهج السلفي العلمي في الدعوة أقوى وأثبت وأعظم بركة ونفعاً في ترسيخ أحكام الدين، وتخريج العلماء ، وتربية الأجيال . ولا بأس أن يصاحبه شيء من الوعي بمجريات الأحداث وواقع المجتمعات ، واستخدام الإعلام ، بل هو في عصرنا الحاضر من متطلبات الدعوة الإسلامية الصحيحة ، ولكن يكون ذلك كالحاشية على الأصل وهو العلم الشرعي .

رابعاً : المدرسة السلفية الجهادية :

أ - منهجها الدعوي :

١ - وجوب الخروج للجهاد في سبيل الله ضد الكفار المحتلين لبلاد الإسلام من اليهود والنصارى والشوعيين الملاحدة والوثنيين لدفعهم عن بلاد المسلمين ، وإقامة الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزل الله في تلك البلاد بدلاً من القوانين الوضعية .

٢- أصحاب هذه المدرسة سلفيون في عقيدتهم من أهل السنة والجماعة ، إلا أن لهم فيما يتعلق بالجهاد في سبيل الله اجتهادات خالفها كثير من العلماء في عصرنا وعدوها من الغلو في الدين ، وإن كان بعض الناس يرى : أن كثيراً من العلماء في زماننا هذا يقع تحت طائلة الحكومات المستبدة الجائرة ، وأن فتاواهم لا تكاد تخرج عن مراد تلك الحكومات وسياساتها ، فهؤلاء من خلال هذه النظرة لا يعولون كثيراً على ما يصدره علماء السلاطين - كما يسمونهم - من فتاوى .

٣- يقوم منهج هذه المدرسة على القول بأن الجهاد في زماننا الحاضر ضد اليهود في فلسطين ، وضد الشيوعيين في أفغانستان والشيشان ، وضد النصارى الأمريكان ومن ساندتهم من الأوربيين في الأفغان والعراق وسائر البلدان الإسلامية التي احتلواها ، وضد الهنود البوذيين في كشمير ، أن جهادهم هذا فرض عين على كل مسلم قادر وليس فرض كفاية كما يقول به كثير من العلماء اليوم .

وحجّتهم في ذلك أن أمة الإسلام واحدة وبلادهم بلد واحد ، وأن تقسيمه إلى دول متعددة بينها حدود تفصل بينها لا يغير من وحدة الأمة شيئاً ولا من وحدة بلدانها ، وأن الأعداء المحاربين قد احتلوا أرض الإسلام ، واستنزفوا خيراتها ، وسعوا إلى تبديل دينها بأحكامهم العرفية وقوانينهم الوضعية ، فوجب على كل مسلم في أي بلد كان النهوض إلى جهادهم حتى يخرجوا من ديار الإسلام ، ويكفوا عن اضطهادها خصوصاً أن أهل البلدان المحتلة من المسلمين عاجزون عن دفع العدو عنهم ، وإخراجه من بلدانهم . وقد ترتب على هذا القول أمور منها :

أ - تأثيم كل من يتخلف عن الجهاد من المسلمين ما دام الجهاد قائماً في أي بلد من بلدانهم وهو قادر .

ب - القول بعدم وجوب الإذن في الجهاد من الوالدين أو ولي الأمر في بلد ما .

٤- كما يقوم منهج هذه المدرسة على القول بتكفير كل من والى الكفار وظاهرهم وأعانهم على قتال المسلمين ، وقد ترتب على ذلك تكفيرهم لبعض حكام المسلمين وجنودهم ، خصوصاً المكلفين منهم بملاحقة المجاهدين والتكفير بهم ، واستحلال قتالهم .

وقد ظهرت فتاوى التكفير هذه كردة فعل لموقف الحكومات الإسلامية المتشدد والعنيف من المجاهدين في محاولة من هذه الحكومات للقضاء وعليهم ، وترويع الشباب الإسلامي من الإلتحاق بهم . حيث قامت هذه الحكومات بسجن كل من يعود إليها من المجاهدين وتعذيبهم والتكفير بهم ، كما قامت بالتسلل إلى صفوفهم في جبهات الجهاد بعناصر من استخباراتها ، وتفريق كلمتهم ، وتوجيه ضربات العدو إليهم . فكانت ردة الفعل لدى كثير من منظريهم والقياديين منهم أن أفتوا بكفر هذه الحكومات ، والتحريض على التحرك لإسقاطها من الداخل .

ب - أهم رموزها :

١- عبد الله يوسف عزام : ولد في جنين بفلسطين ودرس الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بكلية " خضورية " الزراعية ، ثم انتسب بكلية الشريعة بجامعة دمشق ونال شهادة الليسانس في الشريعة ، ثم انتسب إلى الأزهر فحصل على الماجستير ثم الدكتوراه في أصول الفقه ، ثم انتقل إلى التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ثم إلى الجامعة الإسلامية الدولية بإسلام آباد .

التحق الشيخ بالجهاد الأفغاني عام ١٤٠٢ هـ وفي ١٤٠٤ هـ تفرغ للعمل الجهادي وأسس مكتب خدمات المجاهدين الذي أصدر من خلاله مجلة الجهاد الشهرية ونشرة لهيب المعركة الأسبوعية وبعض الكتب والرسائل عن الجهاد . وكان قبل ذلك قد شارك في العمل الجهادي في فلسطين ضد اليهود وشارك في معركة الحزام الأخضر بالغور الشمالي ، وكانت نتائجها شديدة على اليهود . كما خاض معارك كثيرة ضد الروس بأفغانستان ، وكان أشدها معركة جاجي في شهر رمضان عام ١٤٠٨ هـ .

قتل عزام مع ولديه محمد وإبراهيم بتفجير سيارته بلغم ثبته أعداؤه بالسيارة وهو متجه في يوم الجمعة ٢٥ / ٤ / ١٤١٠ لإلقاء خطبة الجمعة في مسجد سبع الليل بمدينة بيشاور بباكستان .

كان رحمه الله يرى أن الجهاد هو سبيل التغيير وتحرير الأمة الإسلامية من تسلط أعدائها عليها . ويرى بأنه فرض عين على كل مسلم قادر . ويرى وجوب التربية الإيمانية الطويلة قبل حمل السلاح والقيام بفريضة الجهاد ، وأن حمل السلاح قبل التربية الإيمانية خطير جداً يخشى بسببه أن يتحول المسلحون إلى عصابات تهدد أمن الناس وتقض مضاجعهم .

٢ - أسامة بن محمد بن لادن : هو الابن السابع عشر من بين اثنين وخمسين ما بين إخوة وأخوات ، وأبوه محمد بن لادن من كبار الأثرياء في المملكة السعودية ، كان مقولاً لأكبر المشروعات الإنشائية في المملكة ومنها المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة ومشروع جبل الهدا وغيرها كثير . وتوفي والده وهو في الحادية عشرة من عمره .

تخرج أسامة من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة بشهادة البكالوريوس في الاقتصاد ليتولى إدارة أعمال شركة بن لادن . ولكنه بعد ذلك توجه إلى المشاركة في الجهاد الإسلامي ضد الدول المحتلة ؛ الروس أولاً ثم الأمريكان .

وأسامة بن لادن هو مؤسس تنظيم القاعدة الذي واجه أعتا قوتين في العالم وهما : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية . وأعلن بعد ذلك بالاشتراك مع أيمن الظواهري تأسيس الجبهة العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين .

بدأ أسامة بن لادن جهوده الجهادية بالسفر إلى باكستان وأفغانستان لإيصال مساعداته المالية إلى المجاهدين الأفغان . ثم قام بتأسيس بيت الأنصار في بيشاور لاستقبال المجاهدين العرب وإرسالهم إلى جبهات القتال داخل أفغانستان ، وكان ذلك في الوقت الذي أسس فيه الشيخ عبدالله عزام مكتب الخدمات الإعلامي في بيشاور أيضاً . ثم قام أسامة بعد ذلك بإنشاء ستة معسكرات للتدريب العسكري للمجاهدين

داخل أفغانستان . وبذلك تبنى جميع متطلبات المجاهدين منذ وصولهم إلى بيشاور وفي جميع مراحل الجهاد .

بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي على أيدي المجاهدين لم يتدخل أسامة بن لادن في الخلاف الذي تفاقم بين قيادات الجهاد الأفغاني ، ولكنه بعد أن استتب الأمر لطالبان وقف معها ضد خصومها كعبدالرشيد دوستم وأحمد شاه مسعود .

شعرت أمريكا وحلفاؤها بقوة المجاهدين فتحالفوا على ضرب الجهاد والقضاء عليه ، فقامت دولهم برفض عودتهم إليها ، ومن يعود منهم يسجن ويعذب بأشد أنواع التعذيب والإهانة . ومن ثم بدأت كذلك متابعتهم في أرض الجهاد لتفريقهم والقضاء عليهم . فما كان من بن لادن وحليفه أيمن الظواهري إلا أن أعلنوا عن الجبهة العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين . وأعقب ذلك تفجير ثلاث سفارات أمريكية في أفريقيا ، وتفجير المدمرة الأمريكية يو أس أس كول في اليمن ، ثم سعت أمريكا إلى حكومة طالبان لتسليم بن لادن فرفضت ، فقامت أمريكا بغزو أفغانستان وطرد طالبان من السلطة .

ظل بن لادن بعدها متخفياً إلى أن فوجئت أمريكا والعالم بتدمير برج التجارة العالمية بنيويورك ، ذلك الحدث الذي كان زلزالاً تاريخياً ، قلب كثير من الموازين الدولية واشتعلت بعده عدة حروب كانت فيها أمريكا والمجاهدين طرفي النزاع .

كانت الرؤية التي أسسها بن لادن للجهاد الإسلامي هي أنه مادامت قد قامت سوق الجهاد وتأسس جيش الإسلام الجهادي فإن الجهاد باقٍ إلى أن يتم تحرير الأمة الإسلامية من قوى الاستبداد والتسلط العالمية . قابل هذه الرؤية إصرار شديد من أمريكا وحلفائها على ضرب الجهاد الإسلامي والقضاء عليه . وقد استمرت هذه الرؤية لدى المجاهدين بعد بن لادن .

قتل أسامة بن لادن فجر الاثنين ٢٨ / ٥ / ١٤٣٢ على إثر هجوم أمريكي على مقره بإسلام آباد سقطت خلالها مروحية أمريكية بمن فيها من الضباط الأمريكان بعد أن أقلت جثته ، فلم يتمكن الأمريكان من الاستيلاء على جثته ، مما جعلهم

يدعون بأنهم قد ألقوا جثته في البحر حفظاً لماء الوجه . وهذه الرواية قد أكدتها زوجة بن لادن التي بقيت بعده على قيد الحياة .

٣ - أبو محمد المقدسي : هذا لقبه الحركي ، واسمه عاصم بن محمد بن طاهر العتيبي البرقاوي نسبة لقريته ومكان مولده برقة في فلسطين ، والمقدسي شهرة .

انتقلت أسرته في صغره إلى الكويت فدرس بها إلى الثانوية ، ثم درس العلوم في جامعة الموصل بالعراق ، ولرغبته في دراسة الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة راسل الشيخ عبد العزيز بن باز في ذلك ، فوعده بذلك ، فانتقل إلى المدينة ، وفي أثناء ذلك عكف على مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وكتاب الدرر السنية في الفتاوى النجدية . ثم سافر إلى باكستان وأفغانستان والتقبعده من قادة الجهاد والمنظرين له .

استقر به المقام في المملكة الأردنية ليدعو إلى ما سماه " أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " فانتشرت دعوته ، وكان يلقي الخطب والمواعظ على القضاة والمحامين والحضور في المحكمة من داخل قفص الاتهام .

كتب العديد من الكتب في تأييد الجهاد والدفاع عن مشروعية العمليات الجهادية ، كما جنح إلى تكفير بعض الحكومات واعتبار حكامها طواغيت لمخالفتهم لشرع الله . ويعد من أبرز منظري ما يسمى بـ " السلفية الجهادية " ، ويمكن ضم أبا مصعب السوري وأبا قتادة الفلسطيني كذلك إلى أبرز المنظرين الجهاديين ، وإن كان المقدسي أكثرهم شهرة وإثارة .

ج - مزاياها :

١- قيام المجاهدين أصحاب هذه المدرسة بواجب الجهاد في سبيل الله ، فتصدوا دون غيرهم لدول الكفر التي احتلت بلاد المسلمين في فلسطين وأفغانستان والشيشان وكشمير والعراق وغيرها ، فأقاموا فريضة الجهاد العظيمة ، بعد أن كاد

المسلمون أن يضيعوها أو ينكروها جهلاً ووهناً وحذراً ، مع أن جيوش الكفار تجوس خلال ديارهم ، وتتهب أموالهم ، وتبدل دينهم .

٢- تحقق النبوءات التي جاءت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالجهاد آخر الزمان في هذه الفئة المجاهدة التي لا نعرف في زماننا هذا فئةً مجاهدةً غيرها ، فقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" ، وجاء في سنن أبي داود عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يقاتل آخرهم الدجال" .

٣- واجه المجاهدون أعداء الإسلام في ساحات القتال بصبر وثبات كالجبال الراسيات ، وسطروا البطولات مما لم نعرفه ولم نسمع به إلا في فعل الصحابة رضي الله عنهم عند الفتوحات ، وظهر على أيديهم في الجهاد من الكرامات ما سمع به القاصي والداني واشتهر أمره بين أهل العصر من المسلمين والمسلمات ، مما زادهم ثقةً بجهادهم ، وزاد الناس ثقةً بهم ، وتأييداً لهم ، مع تخذيل بعض العلماء الناس عنهم بسبب بعض الأخطاء والتجاوزات التي وقعت منهم ، واجتماع الإعلام في جميع دول العالم بكل وسائله في هجمة شرسة لتشويه سمعتهم وأخبارهم ، تحت لواء دولة الكفر الطاغية أمريكا لعنها الله وأذلها وأخزها .

٤- ومن مزايا هذه المدرسة الجهادية شعور المسلمين بالعزة ، وترقيهم للنصر على أعدائهم ، بعدما عمهم اليأس من النصر ، وغطاهم الذل والهوان زمناً ليس باليسير ، وكان سبب عزتهم وترقيهم النصر ما أحرزه المجاهدون من نصر على أعدائهم في ساحات القتال ، وما أظهر الله لهم من الكرامات ، خصوصاً في الجهاد الأفغاني ضد دولة (الاتحاد السوفيتي) التي كانت ترعب الأمم قاصيها ودانيها . فذابت كما يذوب الملح في الماء بعد هزيمة المجاهدين لها ، وإخراجهم إياها من أرض الأفغان ذليلة صاغرة ، فانحلت ، وتفككت ، وضعفت حتى تجرأت عليها دول صغيرة مجاورة لها تقاومها وتنازعها على حدودها .

وكذلك بطولات الجهاد في فلسطين وانكسار قوة اليهود الجبارة أمام صولات المجاهدين ، بل أمام أطفال الحجارة الذين كانوا يواجهون الدبابات والمدرعات الإسرائيلية بصدورهم وهم يرشقونها بالحجارة حتى ترى الجندي الإسرائيلي يفِرّ عدوّاً أمام طفلٍ فلسطيني يطارده بالحجارة والإسرائيلي مدجج بالسلاح !! .

أضف إلى ذلك بطولات المجاهدين في العراق وفي الشيشان وفي الصومال وفي كشمير وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي ، مما أعاد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم واعتزازهم بدينهم ، واستهانتهم بعدوهم .

ولما بلغ الجهاد الشام أيقن المسلمون أن ما بعد الشام إلا نصرة الدين وعز الإسلام ، ورغم تكالب الأمم الكافرة والطوائف الضالة والمرجفون والمنافقون إلا أن الجهاد في الشام ماضٍ مضي السيف البتار ، وهو الآن كر وفر ، والمعارك فيه مع الأعداء سجال ، إلا أن المجاهدين يزيدون ولا ينقصون ، ويثبتون ولا يتزعزعون ، والثقة بنصر الله لا تتغير ولا تتبدل .

٥- ظل المسلمون يتعلمون التوحيد ، ويدرسون الإخلاص واليقين ، في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ، ولكنك لا تكاد تجد لهذه العقيدة أثراً بيّناً في حياتهم العملية إلا من رحم الله ، فلما تحركت كتائب الجهاد في سبيل الله لتواجه أقوى وأشرس دول العالم في زماننا ، تلك الدول التي تملك من العتاد والعدّة والعدد ما لا وجه للمقارنة بينه وبين المجاهدين مع قلة عددهم ، وضعف عدتهم وعتادهم ، برز التوحيد والإخلاص واليقين عملاً مجسداً في أرض الواقع ، فإذا المجاهدون بسبب يقينهم وإخلاصهم وصدق توحيدهم لله لا يبالون بتلك الجيوش العظيمة الجرارة ، ولا بتلك الأسلحة المرعبة الفتاكة ، فيدخلون المعارك بعددهم القليل وعتادهم اليسير ، فإذا العدو يرجف أمامهم رعباً ، وإذا الجيوش الجرارة الضخمة تستنجد بجيوش دول أخرى غيرها ذلاً ، وإذا الإسلام يعلو وينتصر ، وإذا الكفر يذل وينهزم .

لا إله إلا الله !! بأي شيء يقاتل المجاهدون أعداءهم؟ وبأي قوة يحرزون عليهم انتصاراتهم؟ لقد عرف المسلمون أن الذي يقاتل به المجاهدون هو الإسلام ؛ هو اليقين والإخلاص وصدق التوحيد لله ، ليس العدد ولا العدة ولا العتاد ، فلما

عرفوا ذلك ورأوه بأعينهم قامت في أرجاء العالم الإسلامي صحوة مباركة شاملة ، ترى الشباب فيها وكأنهم من أولئك السلف في القرون المفضلة .

د - المآخذ عليهم :

١- قلة العلم فيهم ، مع أنهم أحوج ما يكونون إلى العلم ، لكثرة المواقف والنوازل التي تعترضهم ، ولأن القتل والقتال لا ينبغي أن يقدم عليه أحد إلا على علم ويقين وبصيرة ، لعظم أمر الدماء والحقوق والأعراض .

ولعل من أعظم أسباب قلة العلم فيهم أن عامة من ينهض إلى الجهاد من المسلمين في زماننا هذا هم من العوام وأشباه العوام ، وأن من استجاب لداعي الجهاد من طلاب العلم قليل ، وأما العلماء فنادر ، وهذه مصيبة عظيمة في الدين ، خصوصاً أنه ليس في تقاعس هؤلاء من عذر - مع أنهم أولى الناس به - غير حب الدنيا ، وكرهية الموت ، وجور السلطان ، والله المستعان .

٢- قولهم بأن الجهاد القائم في زماننا فرض عين على جميع الأمة ، فيه تحريج على المسلمين ، وتأثيم لهم ، وليس هو بالقول الراجح والله أعلم ، وإنما القول الراجح أن هذا الجهاد اليوم فرض كفاية إلا على أهل البلاد التي احتلها الأعداء ففرض عين ، فإن عجزوا عن دفع العدو عنهم فعلى من جاورهم وهكذا ، إنما يتعين إمدادهم بالمال والسلاح على جميع الأمة حتى يتمكنوا من صد أعدائهم ودحرهم عن بلادهم ، والله أعلم .

وهم - والله أعلم - إنما يصرون على كون هذا الجهاد فرض عين لسببين :

أ - لرفع الحرج عن كثير من المجاهدين الذين لم يأذن لهم ولاية أمرهم من الوالدين والحكام بالجهاد ، ولو قالوا بكفايته لوجب عند كثير من العلماء طاعة الوالدين وولاية الأمر في عدم الخروج إليه ، مما يكون سبباً في تعطيل الجهاد ، مع العلم أن منعهم لهم عن الجهاد - في الغالب - ليس لحاجتهم إليهم ، ولا لأمر شرعي آخر ، وإنما لحب الدنيا ، وضعف الإيمان ، وتحكم السياسة .

ب - لأن أكثر الذين نهضوا إلى الجهاد من بلدان بعيدة عن أرض الجهاد ، ولو قيل بكفايته ، فلربما قلل ذلك من حماسهم ، وأضعف عزائمهم ، فرجع كثير منهم . وعلى كلِّ فهما قولان للعلماء ، ولكن الذي عليه جمهورهم اليوم هو ما ذكرناه .

٣- ومن المآخذ عليهم قيامهم بقتال الأعداء المحاربين من الكفار في بلدان إسلامية بينها وبين هؤلاء الأعداء عهود ومواثيق ، فهم وإن كانوا محاربين للمسلمين في بلد فإنهم معاهدون في بلد آخر .

وقد عدّ كثير من العلماء - اليوم - قتال المجاهدين لهم في البلد المعاهد لهم عدواناً على ذلك البلد المسلم ، وخروجاً وبغياً على ولاية الأمر فيه ، وهذا بناءً على القول بأن كل دولة من دول المسلمين مستقلة عن الأخرى ، ولها معاهداتها وعلاقاتها المستقلة عن غيرها من الدول الإسلامية ، فلا يلزمها - على هذا القول - ما يلزم غيرها من الدول الإسلامية المعتدى عليها فيما يتعلق بجهاد أعدائها .

أما المجاهدون فيصرون على القول بأن الأمة الإسلامية واحدة أمام أعدائها ، وإن تعددت دولها وتعددت علاقاتها ، وأن واجب الجهاد العيني فرض على كل مسلم قادر وليس على أهل البلد المحتلّ وحده .

ولهم أن يقولوا بذلك إذا تقرّر عند علمائهم ، ولكن ليس لهم أن يفرضوه بالقوة على غيرهم من المسلمين ، فينتج عن ذلك قتال وسفك دماء بين المسلمين أنفسهم ، مما يزيد الأمة فرقةً وتمزيقاً .

الخاتمة

نداءٌ إلى الدعاة السلفيين

أيها الإخوة الدعاة السلفيون !

يا من وفقهم الله إلى فهم كتابه ، والتمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،
واقْتفاء أثر الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أئمة الهدى من المسلمين في أصول
الاعتقاد وفروعه ، ما لكم اليوم تختلفون في طريق الدعوة ، ولا تفتنون الأثر ؟!
أَتباع النبي صلى الله عليه وسلم في عقيدته وعبادته ، وأتباع أهوائكم وآرائكم في
دعوته ؟! ما لكم كيف تحكمون ؟!

أما قرأتم قول الله تعالى فيمن كان قبلكم : (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من
بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) " آل عمران ١٩ " .
أبغياً بينكم وعدواناً على دعوة نبيكم ؟!

أما قرأتم قول الله تعالى في الأمر بالاجتماع ، والنهي عن التفرق والاختلاف :
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) " آل عمران ١٠٣ " ، وقوله تعالى : (ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك
لهم عذاب عظيم) " آل عمران ١٠٤ - ١٠٥ "

أما قرأتم في كتاب ربكم الأمر بالرجوع إليه ، ورد ما تتنازعون عليه
وتختلفون فيه إلى الله ورسوله ليحكم بينكم ، قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء
فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) " النساء ٥٩ " ، وقال
تعالى : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا
سمعنا وأطعنا) " النور ٥١ " ، وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم) " النساء ٦٥ " .

يا دعاة الكتاب والسنة! ما لنا نرى الكفار إذا اختلفوا في شيء عقدوا له
مؤتمراً واجتمعوا له ، ثم لا يبرحون حتى يتفقوا على ما اختلفوا فيه ، وحتى يزول
ما بينهم من أسباب الفرقة والخلاف ، وأنتم يا قدوة المؤمنين ، وأتباع النبي الأمين ،
لم يُدر في خلدكم أن تجتمعوا ، فضلاً عن أن تتفقوا ، أي مصيبة هذه في الدين ؟!

يا أهل السنة والجماعة! أهكذا يكون اتباع السنة؟! أهكذا يكون الحرص على الجماعة؟!!

أما يكفي الأمة ما هي فيه من التفرق والاختلاف ، والتدابير والتباغض حتى تأتوا إليها بالداهية الدهياء والمصيبة العظمى؟! وهي هذا التفرق والتدابير والتشاحن والتباغض بين أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح !.

لقد كان الأمل أن تقوموا بدعوة الناس إلى الاجتماع على الحق الذي معكم ، لا أن تكونوا لهم قدوة في التفرق عن الحق ، وأتباع الآراء والأهواء التي طالما لمتم أهلها وناصبتموهم العدا برببها .

إن التفرق فيما بينكم والاختلاف ، إنما هو في آراء رأيتموها واجتهادات ابتدعتوها ، لا حاجة فيها للدعوة ، فالدعوة قائمة منذ بزغ فجر الدين على يد سيد المرسلين بغير ما ابتدعتوه من الاجتهادات ، وما أقمتموه من الخصومات ، فهلا اطرحتم هذه الاجتهادات في الدعوة جانباً ، وعدتم إلى اقتفاء آثار النبي صلى الله عليه وسلم فيها .

إننا ننصحكم بأمر فاقبلوها لعلّ الله يجمع بها شملكم ، ويلم بها شعثكم ، ويردكم بها إلى طريق نبيكم في دعوته رداً جميلاً :

أولها : أن يجتمع علماءكم ، وكبار الدعاة منكم في ملتقى تكون الغاية منه لمّ الشمل ، ورأب الصدع ، والتناصح بالحسنى ، والتعاون على البر والتقوى ، بما تقتضيه الأخوة الإيمانية ، والحرص على إعزاز الدين واجتماع الأمة ، مع تقديم حسن الظن فيما بينهم على الظنون السيئة ، والتحاب على التباغض ، والتفرق على التعنيف ، والتراحم على القسوة والغلظة ، بحيث يتحقق فيهم قول الله تعالى : (رحماء بينهم) " الفتح ٢٩ " ، وقوله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) " الشورى ٣٨ " ، وقوله تعالى : (أدلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) " المائدة ٥٤ " .

ثانيها : أن يأتي كل فريق إلى هذا الاجتماع وهو عازم على التنازل عما يكون سبباً في التفرق والاختلاف من اجتهاداته وآرائه ، فالخلاف بين أهل السنة السلفيين - والله الحمد - ليس في أصول الاعتقاد ، وإنما هو في اجتهاداتهم في

الدعوة ووسائلها ، وإن كان هذا الخلاف ليس بالأمر الهين فإن له تعلقاً وتأثيراً على بعض أصول الاعتقاد ، كما أن له تأثيراً مباشراً على جانب من التصور الذي تنتج عنه الأحكام والمنطلقات الدعوية والعقدية ، ولكن مع ذلك فخلافهم إنما كان بسبب اجتهادات وآراء ابتعدوا بها عن النصوص خلافاً للمنهج السلفي في اعتماد النصوص والاهتداء بها ، وما ذلك إلاً لشيوع القول بأن الدعوة إلى الله تعالى مبنية على الاجتهاد في أصولها ووسائلها ، وأنه ليس لها نصوص تحدّد الأصول والوسائل ، وهو قول باطل ، فمن تأمل نصوص القرآن وكثيراً من نصوص السنة والسيرة ، وجد المنهج الرباني والمسلك النبوي يوضّحان كل عمل في الدعوة ، ويحددان أصوله ووسائله ، وما على الدعاة إلاً أن يعودوا إلى تلقي أصول الدعوة ووسائلها من الوحيين ، فهذا دين الله أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل معه السبيل الذي اختاره لتبليغه ، ولم يتركه لاجتهاد أعظم الخلق بصيرة وحكمة ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عاتبه في بعض اجتهاده ، ودلّه على سبيل دعوته ، فكيف بمن هم دونه أيؤذن لهم فيما لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، سبحان الله!! كيف تطغى العقول وتضل الأفهام!؟

والخلاصة أن الخلاف بين الدعاة السلفيين إنما هو في اجتهادات لا يضيرهم أن يضربوا بها عرض الحائط ، ثم يعودوا إلى الكتاب والسنة فيستخرجوا منهما أصول دعوتهم ووسائلها ، وهذا هو أصل منهجهم وجادة طريقهم .

ثالثها : ما أحسن أن يتفق أهل السنة السلفيين على الجمع بين علم المحدثين واتباعهم الآثار بعد أن يدع المحدثون طعنهم وتجريحهم ، وفقه الفقهاء وحكمتهم بعد أن يدع الفقهاء لينهم ومصانعتهم ، وحماس العصرانيين ومثابرتهم بعد أن يدع العصرانيون عقلانيتهم وغرورهم ، وثبات المجاهدين وصدقهم بعد أن يدع المجاهدون عجلتهم وتهورهم .

إن نبذ الخلاف واجتماع الكلمة ، وتوحيد السبيل ، أمر ممكن وميسور للدعاة السلفيين إذا أخلصوا النية لله ، ونبذوا التعصب ، وتجرّدوا من حظوظ النفوس ،

وسلموا من الكبر ، وتواضعوا للحق ، فإن نصوص الكتاب والسنة كفيلة ببيان الحق ، وإيضاح الطريق ، وتوجيه المسير ، قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون) " الأنعام ١٥٣ " ، وقال صلى الله عليه وسلم : "تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك" .

وهذا ما ينبغي لأهل السنة فعله ، فهم أولى الناس بلزوم السنة ، والتقيد بالنصوص ، واتباع الصدر الأول في علمهم وعملهم ودعوتهم والله الموفق والمستعان .

رابعها : ومما ينبغي أن يتصف به اتباع السلف الصالح من أهل السنة

والجماعة :

١- العناية بالعلم الشرعي : وذلك بالعناية بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حفظاً وفهماً واستنباطاً على منهج الصحابة رضي الله عنهم وفهمهم ، والعناية بفقهاء العقيدة وفقه الأحكام ، والتخلق بالأداب الشرعية ، والتحلي بالزهد والورع والمراقبة .

٢- أخذ الدين بالعزائم ، وتربية الناس على الفضائل ، مع التحذير من زخرف الدنيا ومواطن الفتن .

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصح لكل مسلم ، والدعوة إلى الله على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

٤- حماية الدين ، ونصرتة ، والذب عن حصونه ، من مذاهب أهل الفكر والفلسفة ، وأهل الغلو والمبتدعة ، وأهل الفسوق والمرتدقة ، ومن أهواء السلاطين ، ومن غدرات المنافقين .

٥- حمل الناس وتربيتهم على كمالات الدين ، والأخذ بعزائمهم ، لا كما هو حال كثيرٍ من دعاة اليوم الذين يتظاهرون بالشفقة على الناس من تكاليف الدين ، فيترخصون لهم الرخص بالفتاوى الشاذة ، والأقوال المرجوحة ، وينقبون لهم عن المخارج التي يفرون بها عن مشقة الطاعة وحمل التكاليف ، وكأن الله حمّل عباده

ما لا يطيقون ، ولم يرحمهم ، فجاء هؤلاء المجتهدون ليرحموا العباد من رحمة أرحم الراحمين .

ومنهم من يصانع أهل السياسة بتلبيين الدين لهم ، وتشكيله على أهوائهم ، وإخضاعه لسلطاتهم ، حتى وقعوا من حيث يدرون أولاً يدرون في فخاخهم وشباكهم ، فإذا بهم في أقفاص الأهواء السلطانية لا يكادون يخرجون منها ، كعصافير الزينة تغرد في الأقفاص لصياديتها ومشتريها صباح مساء .

أيها العلماء الربانيون ، يا أتباع السلف الصالح ، عليكم بهدي السلف الصالح فالزموا طريقهم ، وتشبهوا بأحوالهم ، فقد تجلت لنا الحكمة الراجحة والبصيرة النافذة في فعلهم عندما كانوا يفرون بدينهم كما تفر الصقور والنسور في قمم الجبال وأعالي الأشجار من فخاخ المخادعين أو سهام الصيادين ، تجلت لنا حكمتهم وبصيرتهم بعدما رأينا صرعى الدرهم والدينار ، وقتلى المنصب والجاه ، وتجار الفتوى ، وخدام السياسة ، فالله الله في دينكم ، وإرث نبيكم ، ومناط عزكم ، ومحل سعادتك في الدنيا والآخرة .

خامسها : على أهل السنة والجماعة السلفيين أن يعتنوا عناية بالغة بالتربوية الإيمانية والتزكية الوجدانية ، قبل أخذهم للعلم ومعه وبعده ، فإن العلم من غير تزكية ولا تربوية وبال على صاحبه وبلاءً على الناس ، وقد رأينا عند كثير من طلاب العلم اليوم قصوراً بيناً في هذا الجانب العظيم الذي لا يبلغ المؤمن درجة الإحسان في الدين بدونه .

والله سبحانه وتعالى لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالعلم وحده ، بل بالعلم مقروناً بالتزكية ، وقد قدم التزكية على العلم في مواضع عديدة من القرآن ، قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) " الجمعة ٢ " ، وقال تعالى : (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) " آل عمران ١٦٤ " ، والآيات الدالة على هذا في كتاب الله كثيرة معلومة .

وإنّ التربية الإيمانية والتزكية الوجدانية لا يتحققان في حياة طلاب العلم وسلوكهم إلاّ بأمرين :

الأول منهما : الوعظ والتذكير ، وأعظمه :

- أ - التذكير بأسماء الله الحسنی وصفاته العلی وما لها من معانٍ وآثار .
- ب - التذكير بنعم الله على عباده في البر والبحر ، في الأرض والسماء ، (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) " الذاريات ٢١ " .
- ج - التذكير بالموت وسكرته ، والقبر ووحشته ، وبيوم القيامة وأهواله ، والحساب والجزاء ، والجنة والنار ، وما أعدّ الله في الجنة من النعيم المقيم لأهل طاعته ، وفي النار من العذاب الأليم لأهل معصيته .
- د - التذكير بآيات الله القرآنية ، وآيات الله الكونية ، وما يتجلى فيهما من عظيم حكمته ، وبديع صنعته ، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) " الأعراف ٥٤ " .
- هـ - التذكير بسير الأنبياء والعلماء والعباد وما فيها من القدوة ، وبقصص الأمم السابقة وما فيها من العبرة .
- و - التذكير بمنزلة الدنيا وحقارة شأنها ، والحث على الزهد فيها والورع عنها ، وبيان منزلة الآخرة وعظم شأنها ، والحث على الإقبال عليها والمسارة إليها .

الثاني : تكوين البيئة الإيمانية :

وهي التي يعيش فيها طلاب العلم مع معلمهم وعلمائهم في بيئة واحدة ، أي مكان واحد كالمسجد مثلاً ، أو السفر والرحلة ، أوقاتاً طويلة ، يتعلمون منهم العلم والعمل ، ويتلقون عنهم السلوك والأدب ، ويرون فيهم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بمكة في المسجد الحرام وفي دار الأرقم قبل هجرته ، وكما كان معهم في المدينة في مسجده وفي جهاده وأسفاره بعد هجرته . وكما كان علماء السلف الصالح مع تلاميذهم الذين كانوا يرتحلون إليهم من مختلف الأمصار ، ويمكنون بين ظهرانيهم الشهور

والأعوام يتلقون عنهم العلم والعمل . لا أن يلقي العالم درسه ، ثم يسرّح طلابه في بيئة الغفلة ، يتلقون عن العوام سلوكهم وأخلاقهم ، وعاداتهم ومعاملاتهم ، ثم ماذا ينفع العلم بعد ذلك في أرض أجادب تمسك الماء لغيرها ولكنها لا تنتفع منه بزهرة ولا ثمرة .

إن حاجة طلاب العلم إلى التربية والتزكية أشد من حاجتهم إلى تعلم العلم بمجردده ، وما أحسن أن يجتمع العلم والعمل ، ولكن ما ظنك بحامل علم لا يعمل به ، أليست حاله أشبه بحال من وصفهم الله تعالى بقوله : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) " الجمعة ٥ " ، ولا يكون العلم إلا بالتعلم ولا يكون العمل إلا بالتزكية والتربية ، فهلا فطن العلماء والدعاة السلفيون إلى أهمية هذا الأمر وعظم الحاجة إليه ، فأنشأوا لذلك المراكز ، وأعدوا له البرامج ، وهيأوا له ما يحتاج من الوسائل واللوازم ؟

هذا والله الموفق والمستعان ، وعليه التكلان ، وصلى الله وسلّم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين .

تمت والله وحده الحمد والفضل والإنعام

#####